الانتخاب الطبيعي بين الدين والفلسفة

إعداد
د/ لمياء محمد نصر مغازي
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية البنات الإسلامية بأسيوط

المقدمـــــــــــة

الحمد لله الذي خلق الخلق وهو أعلـم بهـم، وكفـل لهـم معاشـهم، ونـبههم إلـى معادهم وذلك قائمٌ في علمه جل شأنه، قـال تعـالى: ﴿**أَلَـا يَعْلَـمُ مَـنْ خَلَـقَ وَهُـوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله كل شيءُ في علمه قـائم، وبقضـائه مسـجل، وقـدره فيـه نافذ، لا يعجزه فعل شيءٍ عن شيء، ولا يشاركه أحدٌ فـي خلـق شـيء، بـل كـل الأشياء في علمه مقدرة وتحت سلطان قدرته ميسرة، قال تعـالى: ﴿**إِنَّـا كُـلَّ شَـيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[٢].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، بعثه الله رحمـةً للعـالمين، وجعلـه خاتمًـا للأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿**مَّا كَـانَ مُحَمَّـدٌ أَبَـا أَحَـدٍ مِّـن رِّجَـالِكُمْ وَلَكِـن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[٣].

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلـى آلـه الطيبـين، وأصـحابه الغـر الميـامين، وأتباعه من العلماء العاملين، وأكرمنا بشفاعته يوم الـدين، يـوم لا ينفـع مـال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم.

أما بعد،،،

فإن العقل الإنساني متى اهتدى بـالنور الربـاني، وتجـرد عـن النـزغ الشـيطاني تحققت له الجوانب التـي كـان يحسـبها عصـية، أو يسـلكها مـع الأمـاني، والله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان وحقق له ما يتمنى، بـل وفـوق مـا يتمنـى، إذا كـان قائمًا على طاعة الرحمن، حسب ما جاء من الواحد الأحد الديان.

---

(١) سورة الملك: الآية (١٤).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٤٠).

(٣) سورة القمر: الآية (٤٩).

أما إذا غفل عن شرع الله، وتمسك بمـا سـواه، فإنـه يقـع فـي اسـتدراج هـواه، ويظل به حتى يجادل في البدهيات، وينكر الضـروريات، وتتسـع مسـاحة الإنكـار عنده فيردد الأساطير ويعتقد في الخرافـات، حينئـذ يخـتم الله علـى قلبـه وعقلـه وسمعه في الدنيا، وفي الآخرة يحشر مع أهل النار في أسفل الدركات[٤].

وأصحاب الفكر التطوري الذين انتهى بهـم الأمـر إلـى إنكـار وجـود الله تعـالى والتمسك بما سواه، صاروا علامة سيئة للعقل الإنساني، الـذي خـرج علـى الخلـق الرحماني، وتناولوا العقيدة الإلهية بما لا يليق بذاتـه المقدسـة العليـه، ولا أسـمائه الحسنى، وصفاته الإلهية، ومن هنـا كـان التنـاول لهـذا البحـث تحـت عنـوان: (الانتخاب الطبيعي بين الـدين والفلسـفة)، وذلـك اسـتقر عنـدي لاعتبـارات كثيرة، واتخذت لبلوغه خطوات عديدة،من أهمها:

أولاً ـــ أسباب اختيار الموضـــــوع:

١ـــأن الأفكار التطورية، ومنها الانتخاب الطبيعي لم تقـم علـى أصـول معرفيـة صحيحة يتم الاحتكام إليها، بقدر مـا هـي توجهـات فرديـة قامـت علـى بعـض الجوانب التاريخية، وزعمت أنهـا تمثـل أبحاثًـا علميـة، والفـرق بـين الـدعوى والنتيجة واضحٌ جدًا.

٢ـــأن كافة المراحل التي زعمتها في كـل مـن النشـوء، والتطـور، والارتقـاء، جملتها كلها نظرية، لم يتم التجريـب عليهـا، فـإذا زعمـوا أنهـا حقـائق علميـة وخاضوا فيها، فقد بان أنهم خالفوا المنهج، والتصنيفات العلمية.

٣ـــأن فكرة الانتخاب الطبيعي جاء القول بها كمُعبـر عـن نزعـة إنسـانية، تمـت عليها ضغوط نفسية، فابتعدت بها عن العلـم المتسـم بالواقعيـة، إلـى غيـره ممـا

---

(٤) أهل العلم على أن الوارد في نعيم أهل الجنة الدرجات، وأعلاها الفردوس الأعلى رزقنا الله إياه، وعذاب أهل الجحيم في النار، وهي دركات والأكثر عذابًا هي السعير.

يعبر عن عمليات انتقامية أخفـت مظاهرهـا تحـت سـتار البحـث فـي القضـايا العلمية.

٤ـأنها جعلت المجهولات، لله في خلقه مشاركات، ووضـعت لهـا مـن التسـميات والصفات ما لا أصل له عنـد الاسـتعمال الصـحيح، أو فـي منشـأ الاطلاقـات، فجعلوا لله ألف شريك أحدثوا في الخلائق، مـا أحـدثوا مـن التصـورات، والحـق ثابت في أن الله وحده هو الخالق للكـل، لـم يشـاركه فـي خلقـه أحـد، سـبحانه وتعالى بارئ الأرض والسماوات.

٥ـلما كانت هذه الأفكار تمس العقيـدة الدينيـة الإسـلامية التـي نتمسـك ونعتـز بها، فقد بات من الضروري دراسة تلك الموضـوعات، وبيـان الوصـف الصـحيح لها، حتى تكون الأمور بالنسبة لمن يطلع عليها واضحات.

٦ـأن فكرة الانتخاب الطبيعـي جعلـت الطبيعـة خالقًـا، وهـي مخلوقـة ضـمن المخلوقات، فالطبيعـة هـي النبـات والحيـوان والإنسـان والجمـاد القائمـة فـي المشاهدات، وكلها مخلوقة وليست خالقة، فجعلوهـا فاعلـة للانتخـاب بمـا يخـالف الفطرة، وحقائق الأشياء، كما يحول العقيـدة الدينيـة الصـافية إلـى الاعتقـاد فـي جملة من المخلوقات، وهذا كله يفرضُ على المسلم عرضـه وتقريـره، وبيـان مـا فيه من المغالطات.

ثانيًا ـــ منهجي في الدراســـــــة:

تعتمد تلك الدراسـة المـنهج التكـاملي، الـذي يجمـع بـين الوصـف والعـرض والتقرير، ثم التحليل والنقد، وبالتالي فكل جزئية مما أتناول يـدور فيهـا جـزء مـن ذلك المنهج المتكامل، وسوف يرى القـارئ الكـريم هـذه الجوانـب مـن الناحيـة التطبيقية.

ثالثًا ـــ مكونات البحـــــــث:

المقدمة:وتتضمن:

أولاً : أسباب اختيار الموضوع.

ثانيًا : منهج الدراسة.

ثالثًا : مجمل مكونات الدراسة

الفصل الأول: الانتخاب الطبيعي بين المفهوم والدلالة.

الفصل الثاني: عوامل ظهوره.

الفصل الثالث: مشكلاته ـ عرض ومناقشة.

الخاتمة:

ـ أهم النتائج.

ـ أبرز التوصيات.

ـ أهم المقترحات.

أهم المصادر.

الفهرس العام.

وعلى الله قصد السبيل.

الفصل الأول
الانتخاب الطبيعي بين المفهوم والدلالة

يمثل التطور الإحيائي حركة من حركات البحث العملـي فـي الميـدان البيولـوجي، أو على الأقل في الجانب الإحيائي، المتعلق بالكائنات الحيـة مـن ناحيـة الدراسـة، ومن ناحية الاستفادة بالتطور وقوانينه، ومـن ناحيـة تنميـة المواهـب، وهـو مـا يطلق عليه اسم الإبداع المعرفي(٥).

ومن البين أن التطور الإحيـائي قـد شـغل عقـول أصـحابه ومـا زال يشـغلهم، وبخاصة أن النتائج التي وردت فيه راح بعضها يلمس الـدين مـن قريـب، أو مـن بعيد، حتى باتت الأفكار التطورية تمثل نوعًا مـن الضـغط الأدبـي علـى المفكـر المسلم الذي يسعى إلى المحافظة علـى عقيدتـه الدينيـة، وبـذل جهـده كلـه فـي سبيلها، إذ ليس هناك أغلى على المرء المسـلم مـن عقيدتـه الدينيـة؛ لأنهـا رأس ماله، الذي يلقي الله تبارك وتعالى عليه(٦).

---

(٥) الإبداع أنواع منه ما يتعلق بالمعارف الإنسانية، ومنه ما يتناول القيم والآداب، ومنه مـا يـرتبط بالحرفة، إلى غير ذلك من الجوانب التي يترتب عليها هذا الإبداع.

(٦) الشواهد الدينية كلها على أن نعيم الآخرة هو الباقي، وثوابتها هو الدائم، وأن ما عنـد الله خيـرٌ وأبقى، ومن ثم فرأس مال المسلم الدين الذي ينتمي إليه ويسعى للمحافظة عليه.

ومن البين أيضًا أن الانتخـــاب الطبيعـــي يمثـــل أحـــد العناصـــر المهمـــة بالنســـبة لأصحاب التطور الإحيائي، وبخاصـــة أن التطـــور أنـــواع، كـــل نـــوع منهـــا لـــه موضوعات، ومناهج، وخطوات، ثم نتائج ترتبط به أو يرتبط هو بها[٧].

والانتخاب الطبيعي أحد القوانـــين الذي ركز عليـــه التطـــوريون وعرفـــت لـــديهم بها، ومن يطـــالع الصـــحائف التـــي ســـودت بشـــأنها أدلـــة التطـــور يراهـــا عديدة، وقد تزايـــدت مشكلاتها، ومنها أدلـــة التراكـــيب الجيولوجيـــة[٨]، ومنهـــا دلالات عـــلمالأجنة[٩]، ومنها دلالات علم التشريح المقارن[١٠].

---

(٧) راجع: د/ عبدالله خيري، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٨٣، الطبعة الثانيـــة ١٩٨٥؛ وراجـــع: لتوماس زيد، عصور ما قبل التاريخ، ترجمة: أ/ نور الدين فضل، طبعة دار الفكر ١٩٨٧م.

(٨) **التراكيب الجيولوجية:** موضوع هذا العلم متعلق بطبقات الأرض، وتنوع تربتها، بجانب مظـــاهر التضاريس وكيفية ظهور الحياة فيها. راجع: د. محمد السيد جبران، الجيولوجيا الحديثة، ص٧٩، طبعة دار مراد، ١٩٨٩م.

(٩) **علم الأجنة:** وهو مما يشترك فيه كل من الإنسان والحيوان بشكل أساسي، والبحث في علم الأجنة يؤكد أن هناك مراحل يمر بها الجنين سواء أكان حيوان أم إنسان، حيث تكون المرحلة الأولـــى هي مرحلة الحيوان أحادي الخلية، ثم تأتي مرحلة جديدة تسمى مرحلة اللاقحـــه، وهـــي الخليـــة الأولى، ثم تأتي مرحلة الحيوان متعدد الخلايا الجسدية والعصبية والجنسية، ثم المرحلة السمكية، حيث تظهر الأطراف الصغيرة الأقرب للزعانف، ثم تأتي المرحلة الفاصلة، وهي الثديية، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الرئيسيات، وهي أرقى مجموعة في الثدييات، ثم تليها الصفات البشرية، كفاصل بين نوعي الحيوان والإنسان.
راجع: توماس هيج، البيولوجيا والمجال النووي، ص١٠٩، ترجمة: هنـــاء صـــبري، المطبعـــة العصرية، بيروت ١٩٨٣م، نصر محمد عبدالعظيم: البيولوجيا المتقدمـــة ـــ ص٥١ ـــ الطبعـــة الأولى ١٩٧٥م.

وفي ذات الوقت فقد بدا قـانون الانتخـاب الطبيعـي أكثـر اتسـاعًا وشـمولاً مـن غيره، وبخاصة بعد أن تم دفع دماء جديدة لـه، والتأكيـد علـى ضـرورة التكيـف مع الظروف البيئية، من حيث أنها تنجح في الحصول على مقومات بقائها[١١].
وبناءً عليه فإني سأتناول هنا الانتخاب الطبيعـي وسـأبذل جهـدي فـي بيـان مـا يلي:

مفهوم الانتخاب الطبيعي:
يذهب الكثيرون إلـى أن الانتخـاب الطبيعـي يعـرف بتعريفـات متعـددة، طبقًـا للتكوين الفكري القائم على رؤوس أصحاب الانتخاب الطبيعي، ومن أبرزها:

١ـ الانتخاب الطبيعي:
هو تمايز الأفراد ذات الصفات المناسبة للنجاح فـي الحيـاة، وكلمـا تراكمـت هـذه الصفات الموروثة أدى ذلك إلى تكيف أصـحابها مـع الحيـاة بغـض النظـر عـن نوعية البيئة التي عاشوا فيها[١٢].
وهذا التعريف للانتخاب الطبيعي قائم علـى فكـره بعينهـا، وهـي التمـايز الـذاتي باعتبار أن كل فردٍ له صفات تحقق عملية النجـاح لـه، وهـو يرثهـا مـن ناحيـة الجودة، وذلك يدفع إلى التكييف فلا حاجة إلـى شـيء وراء المـوروث والاسـتعداد الذاتي.

---

(١٠) **علم التشريح المقارن:** هو الذي يقوم ببيان الفروق التشريحية بين أنواع الحيوانـات المختلفـة، وبينها وبين الإنسان، ثم يقدم النتائج التفصيلية لكل ما سبق دراسته. راجع: محمد منير الضبع ـ علم التشريح المقارن ـ ص٧ ـ طبعة أولى ١٩٨٧م.
(١١) ب.هـ جوهار، الطريق إلى العلم ـ ص١٥١ ـ ترجمة: خالد عبد البديع، طبعة بيروت ١٩٨٢م.
(١٢) توماس أندريه مالتوس، التطور الإحيائي وحركة الحياة، ص١٧٥، ترجمة: عادل فوزي، طبعة دار الكرنك١٩٩٨م.

٢ـــالانتخاب الطبيعي:

هو قدرة الأحياء في فهم الأصلح في البقاء، والأقدر علـــى التكييـــف فـــي الظـــروف البيئية، حتى ينجح هؤلاء الأفراد في الحصول علـــى أنمـــاط الحيـــاة ومقوماتهـــا[١٣]. وذلك من شأنه أن القول بالطبيعـــة وحـــدها هـــي التـــي أوجـــدت هـــذه الصـــفات، وأمسكت بها من الأجداد إلى الأحفاد، مـــن غيـــر خـــالق قـــادر حكـــيم، المهـــم أن يكون هناك جملة من المقومات الأساسية:

- **الأول:** مقوم الغذاء اللازم.
- **الثاني:** مقوم تأمين أفراد النوع.
- **الثالث:** مقوم رعاية النشء حتى ينضج.
- **الرابع:** مقوم القدرة على التكاثر.

هذه الجوانب الأربعة ذكرها جوهار، كما ذكرها غيره[١٤].

من البيّن أن فكرة الانتخاب الطبيعي، أو الاصـــطفاء النـــوعي هـــي ضـــميمة فكـــرة التجانس الحيوي[١٥]، وتوريث الصفات المكتسبة علـــى أن الكثيـــرين مـــن القـــائمين في الحقل التطوري تمسكوا بقاعدة صارت فيما بينهم متطردة.

٣ـــ الانتخاب الطبيعي:

---

(١٣) أندريه توما هوك، نظرية التطور في الكائنات الحية، ص١٣٥، ترجمة: نصر الـــدين الفـــواز، طبعة بغداد ١٩٨٣م.

(١٤) الطريق إلى العلم، ص١٥١، للدكتور/ خالد فوزي حسن، التطور الإحيائي، بحث في الكائنـــات الحية، ص٧١، طبعة شلبي ١٩٨٥م.

(١٥) تقوم فكرة التجانس الحيوي على أن كل مجموعة من الكائنات الحيوية لها ارتباط نوعي، يجعلها تتلاقى فيما بينها، حتى كأنها تتوارث تلك الجوانب من الناحية الأولية.

هي حركة تقوم في الكائن عن طريـق جملـة مـن العوامـل والأسـباب لا يوجـد بينهـا سـوى رابطـة القرابـة الحيويـة، وهـو الـذي نعتقـده بالنسـبة للتطـور الإحيائي(١٦). ولا شك أن تلك التعاريف جـاءت كمـا قلـت مـن نـواحي متعـددة، وكلما تم إسدال الستار على واحدٍ منها، انفتحت غيرهـا، وهـو مـن الدلالـة علـى دور الحركة الإنسانية في الجوانب الإحيائية.

٤ـ الانتخاب الطبيعي:

هو عملية دائمة تقوم بها الطبيعة ذاتها مع الكائن الحي مـن غيـر احتيـاج لشـيء آخر، فالطبيعة هي التي تنشئ وتنتقي(١٧).

وما دامت الطبيعة هي التي تنتقي وتصـطفي وتختـار، فـإن أصـل الحيـاة فـي بدايته قد نشأ من المادة العمياء القديمة الأزلية الصـماء بطريـق التولـد الـذاتي(١٨)،

---

(١٦) لجورج بيتر، التطور في الكائنات ودور الطبيعة الخلاقـه، ص٣٨، ٣٩، ترجمـة: أ/ فـوزي صبري، طبعة المقطم ١٩٩٢م.

(١٧) أنتوني توماس، التطور الحيوي، ص١٣٧، ترجمة: هناء خضر، طبعة دار القلم ١٩٨٧م.

(١٨) **نظرية التولد الذاتي:** تقرر أن الحياة تولدت من تلقاء ذاتها، لاحظ البعض ظهور كائنـات حيـة دقيقة على الخبز، وظهور ديدان في الجبن واللحوم التي تترك في الهواء، وخروج بعض الديدان من الأرض الرطبة، فنادوا بنظرية التولد الذاتي للحياة، وعللوا ذلك بحدوث بعـض التفـاعلات الكيميائية بين بعض العناصر في ظروف خاصة، وقد نتج عن هذه التفاعلات خروج كائنات حية للحياة، وظهرت في هذا المجال عدة نظريات تعلل نشأة الحياة، مثل: "نظرية أوبارين"، ونظريـة "برنال"، وغيرهما.

مدارس النقد والتشكيك والرد عليها. راجع: حلمي القمص يعقوب، موقع ويكيبيديا، وأيضًا: توماس جيد، التطور التلقائي، ص٤٥، ترجمة: هدى صبري.

أو التحول والصيرورة، وكانت المصادفة البحتة هي التـــي تضـــبط تلـــك العمليـــات تحت إشراف الطبيعة نفسها[١٩].

وبناءً عليـــه قـــرر التطوريـــون[٢٠] أن عمليـــة الاصـــطفاء النـــوعي هـــي البـــديل للانتخاب الطبيعي من حيث الأداء الوظيفي من الاتفاق على أن كـــل مـــا يـــتم فـــي الكائن الحيوي هو من صنع الطبيعة وليس هناك شيء آخر.

ويعتقد برونسكي أن الانتخاب الطبيعـــي، هـــو الحركـــة الحيويـــة التـــي تـــتم فـــي الكائن الحيوي من غير حاجة إلـــى قـــوة وراء الطبيعـــة، حتـــى قـــال أن الطبيعـــة عاقلة، وكل ما يصدر عنها تصح نســـبته إليهـــا هـــي أم التطـــور الإحيـــائي وهـــو ربيبها[٢١].

٥ــ الانتخاب الطبيعي:

---

(١٩) محمد مرسي حسن، الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، ص٤٩، طبعـــة دار النهـــر، طبعـــة أولـــى ١٩٨١م.

(٢٠) **التطوريون:** هم أصحاب مذهب التطور.

ومعنى التطور: التغير التدريجي الذي يحدث في بنية الكائنات الحية وسلوكها، ويطلق أيضًا على التغيير التدريجي الذي يحدث في تركيب المجتمع والعلاقات، أو النظم، أو القيم السائدة فيه.

ينظر: المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية.

ومعنى التطور هنا بالمعنى العام الذي يشمل المجتمعات، والدين، والسياســـة، والفكـــر، وأشـــهر القائلين به تشارلز دارون الذي نسب إليه المذهب.

(٢١) أ.ب بروزسكي، الكائن الحي والتطور البيولوجي، ص١٩٩، ترجمة: صالح منتصـــر، الطبعـــة الثانية، مكتبة فوزي ١٩٩٨م؛ وراجع: د/ سلامة موسى، نظريـــة التطـــور واصـــل الأنـــواع، ص١٤٥.

هو ناموس حيـوي، إنمـا يعبـر عـن طريقـه تثبيـت التغـايرات فـي صـفات العضويات مهما كانت تافهة، ما دامت ذات فائدة ما للأحياء[٢٢]

ولأن حاولت إحصاء تلك التعريفـات، فمـن المؤكـد أننـي سـأواجه كثيـرًا مـن الصعوبات؛ لأن كل باحث إنما يقدم تعريفًـا قـد لا يكـون مقصـودًا عنـده، إنمـا يقدمه من باب المشاركة، وهو الذي يمكـن ملاحظتـه إذا تأمـل المؤلفـات العديـدة التي صدرت في عامٍ واحد في خصوص التطور الإحيائي.

غير أني سأناقش تلك التعريفات على سـبيل الجملـة مـع التركيـز علـى القواسـم المشتركة، وبلغة أخرى ما يمكـن اعتبـاره قواعـد عامـة، وسـيكون ذلـك علـى النحو التالي:

١ـ أن هذه التعاريف للانتخاب الطبيعي، قـد تـم بناؤهـا مـن خـلال ملاحظتـين سابقتين، الأولى: بداية النشوء، وكونها قد تمت عـن طريـق التولـد الـذاتي الـذي حصل في المادة العمياء، وهذا الحصول هو الآخـر قـد تـم مـن خـلال اجتمـاع عناصـر ماديـة مخصوصـة ذات أوزان مناسـبة، وهـذه العناصـر الماديـة المخصوصة وتلك الأوزان المتناسـبة أحـدثت فيمـا بينهـا نوعًـا مـن التكامـل والتكافل، وقد تم ذلك كله بوعي منها دون حاجـة إلـى شـيءٍ وراءهـا حتـى لـو كان الله سبحانه وتعالى.

وهو اتجاه بعيد كل البعـد عـن الحقـائق العلميـة؛ وذلـك لأن عمليـة الانتخـاب الطبيعي تفتقد القدرة على التصنيف ومثلها ليس مـن الصـواب نسـبة فعـل إليهـا من حيث أنها غير عاقلة، أما أن ينسـب إليهـا ويكـون متقنًـا فهـذا مـا ترفضـه الفطرة السليمة وقواعد العلم الصـحيح، بـل لابـد مـن الرجـوع إلـى الله تعـالى

---

(٢٢) د/ محمود صالح السعدني، البناء الخلوي وعلاقته بالتطور، ص٣٧، طبعة أولى، مكتبة المنشية ١٩٩٥م.

القائل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَـرَةُ سُـبْحَانَ اللَّـهِ وَتَعَـالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢٣].

٢ــأن هذه التعاريف افتقدت الحاسة التطورية ذاتها؛ لأن التطـور فـي حـد ذاتـه، هو انتقال من حال إلى حـال، ولا يقـوم بـذلك إلا مطـور، فلـو كـان الانتخـاب الطبيعي هو الذي يطور نفسه، ويملك القدرة والعلم علـى القيـام بـه، فربمـا شـاع ذلك عنه، أو صار مقبولاً منه، بل ربما عُد متعيناً عليه[٢٤].

٣ــأن القول بوجود العناصر المسـاعدة ودورهـا الحيـوي، معنـاه إمكانيـة قيـام الطبيعة بخلق إنسان، وكان جيتس يقـول: أعطنـي المـواد الأساسـية أصـنع لـك إنساناً في المعمل[٢٥].

على أن هذه العناصر الملائمة التي يقولون بهـا لا تسـتطيع القفـز فـوق سـلطان المصادفة[٢٦]، فضلاً عن العشوائية الخالصـة، فـإن اجتمـع هـذان لصـالح شـيءً

---

(٢٣) سورة القصص: من الآية (٦٨)، ويقول الرازي: والمراد أنه المالك المطلق،وهو منزه عن النفع والضر، فله أن يخص من شاء بما شاء لا اعتراض عليه البتة ... ولما ثبت أنه حكـيم مطلـق، وأن كل ما فعله كان حكمه وصواب فليس لأحد أن يعترض عليه، وليس لهم الخيرة، إذ ليس لهم أن يختاروا على الله أن يفعل. مفاتيح الغيب ــ الرازي ــ المجلد ١٣، ج٢٥، ص١٠.

أي لا يملك أحد أن يعدل أو يبدل في خلقه شيئًا، ولا يزيد ولا ينقص، وأنه هو الذي يختـار مـا يشاء من خلقه لما يريد من وظائف وأعمال، ولا أحد يملك من شأن نفسه، وشأن غيـره شـيئًا، وأيضًا هذا معناه أن نتقبل ما يقدره الله علينا، ونأخذه بالرضى والتسليم مع الأخذ بالأسباب.

(٢٤) تلك وجوه ثلاثة، يمكن لأي باحث الوقوف عندها ومراجعتها، ثم إضافة ما تحتاجه، أن كان ذلك هو الأجدى لها.

(٢٥) أندريه جينس، التطور الخلاق، ص٧١، ترجمة: حسن مراد، طبعة أولى.

(٢٦) **المصادفة:** تعرف بأنها ما يخرج على النظام والقانون المعروف، ولا يبدو له سبب، ولا غايـة واضحة، وهو أشبه ما يكون بالاتفاق. ومن الناحية العلمية هي النتائج غير المتوقعة، والمترتبـة

ما، تحقق، حتى وإن لم يكن مستحقًا له، أما أن أخفـق فإنـه يُقـتص منـه كمرحلـة أولية.

وعلى فرض أن النشوء، وعملية الارتقاء، وعملية التطـور قـد حـدثت كلهـا فـي وقت غير وقتها، وزمان غير زماننا، أما مـا نشـاهده اليـوم فقـد لا يخلـق شـيئًا وربما ماتت الحياة فيما بعد، وهو الأمـر الـذي ينتظـر الطبيعـة ذاتهـا، ويعتقـد هؤلاء أن البداية لتلك العناصر نشـأت بـين أحضـان الأم، وهـي المـادة العميـاء الثابتة، وبين المادة الحية المتحركة وهي الخلية[٢٧].

على أنه يمكن القول بأن اجتماع العناصر المخصوصة لا يـؤدي إلـى إيجـاد حيـاة في الخلية، فضلاً عن استمرارها، بدليل أن الكثيرين مـن بنـي الإنسـان والحيـوان يموتون في ظل ظروف عاديـة مـع تـوفر الأسـباب المخصوصـة التـي تجعـل الحياة مستمرة.

أفلا يدل ذلك على أن فكرة التطور في حـد ذاتهـا خيـال حـالم، أم أن الجـدل[٢٨] هو الذي أمسك بزمام الأمور لـدى أصـحاب الانتخـاب الطبيعـي، ولـم يحـاولوا الخروج عنه لأسباب تعود إليهم.

على تداخل الظواهر، الخاضعة لقوانين ثابتة، دون أن تكون هذه النتائج أقل ضرورة من النتـائج المتوقعة، ويستخدم حساب الاحتمال في تحديدها.

المعجم الفلسفي ــ مجمع اللغة العربية ــ ص١٨٥، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م.

(٢٧) سلامة موسى، نظرية التطور وأصل الأنواع، ص١٤٥، المكتبة العصرية ١٩٣٣م.

(٢٨) **الجـدل:** هو طريقة في المناقشة والاستدلال، وقد أخذ معان متعـددة فـي المـدارس الفلسـفية المختلفة، فهو:

أ) عند سقراط: معناه مناقشة تقوم على حوار، وسؤال، وجواب؛

٤ــ ويعتقد الدكتور عمارة أن عبودية الإنسان لحياته الشخصـية هـي التـي جعلتـه يعرض نفسه بالحديث عن التطور الإحيائي كنوع مـن الانتقـام الـدفين للمـرأة[٢٩]، ويعتقد أن المرأة تنزع الأنوثة من حياتها، ثم تنـزع الأنوثـة رغبتهـا فـي حمايـة مصالحها، أو أن تحصل على ما تريده من الرجـال، فهـي غيـر مهيـأة للسـلوك كرجل من الرجال، ثم هي دائمًا تقـول أنهـا لا تسـتطيع إغضـابه ولا إهمالـه ولا تغييره؛ لأنه صاحب الانتخاب الطبيعي، والاصطفاء النوعي[٣٠].

٥ــ أن الخلية الحية التي نشأت عـن المـادة الخـام تعبيـر عـن فكـرة غامضـة، تناقضها مقوله ثابتة، هي أن فاقد الشيء لا يعطيـه، وبنـاءً عليـه فـإن التعـاريف التي سبق القول بها في الانتخـاب الطبيعـي قـد تهـاوت، إذ كيـف تنشـأ الخليـة الأولى الحية عن المادة الخام الميتة وبين الحي والميت تضاد[٣١].

ب) وعند أفلاطون: معناه منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع، بحيث يصبح علم المبادئ الأولى، والحقائق الأزلية؛

ج) وعند أرسطو ومناطقه المسلمين: معناه قياس مؤلف من مشهورات، ومسلمات.

المعجم الفلسفي ــ مجمع اللغة العربية ــ ص٥٩.

(٢٩) وبهذا يكون الحديث عن الانتخاب الطبيعي عملية انتقامية وليست علمية، ولا تقوم على مبـادئ معرفية، بقدر ما تؤصل لنزعات شيطانية.

(٣٠) د/ محمد قدري عمارة، هامش ص٩٥، من ترجمته لكتاب "النوع الذكر والأنثى بـين التمييـز والاختلاف"، سلسلة العلوم الاجتماعية، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦م.

(٣١) من أحاكم المتضادين أنهما لا يجتمعان، وقد يرتفعان والقرآن الكريم أشار إلى أن مقاييـ الآخرة تختلف عن مقاسـ الدنيا، و ـر إلى أن بين الحياة والموت مرحلة ثالثة جاء ذكرها فـي قولـه تعالى: ﴿إِنَّهُ مـ ـمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يموتُ فِيهَا وَلَا يَحْيى﴾ "طه: الآيـة ١ مرحلة ثالثة ـ ـح، ولا هو حي فيتمتع.

٦ــومن أعجب العجب أن أصحاب الفكر التطـوري يـذكرون أن الخليـة الأولـى قد منحت نفسها قدرًا كبيرًا من المرونة المستمرة، والحركـة الدائمـة حتـى سـارت في طريق النشوء.

ثم علت درجات السلم التطوري، وظلت تقفز فـوق درجاتـه حتـى وصـلت إلـى الارتقاء[٣٢]. وظلت كذلك حتى وصـلت الحـال التـي عليهـا الآن، وكـأن المـادة الخام التي أقروا بأنها صماء عمياء جعلوها على قمة الأحياء.

فتارة يجعلونها تبصر، وأخـرى يجعلونهـا تعمـى، ولا أدري هـل القـانون الـذي اعتمدوا عليه يسمح لهم بتلك التجـاوزات التـي ذهبـوا إليهـا، أم أن المـادة التـي عاشت في العدم، أنتجت الخلية الحية دون مراعاة لشيء آخر.

لقد قال أرنست هيكل: "أن الحياة قد نشأت، ويمكن أن تنشأ مـن المـادة إذا مـا تـم توازن نسبي دقيق بين مقادير خاصة من العناصر الماديـة"[٣٣]، ولـو قـدر لـه أن يجمع العناصر التي زعمها فلن يتمكن من خلـق ذبابـة، ولا أن يسـترد منهـا مـا سلبته منه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ ضُـرِبَ مَثَـلٌ فَاسْـتَمِعُوا لَـهُ إِنَّ الَّـذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُـوا ذُبَابًـا وَلَـوِ اجْتَمَعُـوا لَـهُ وَإِن يَسْـلُبْهُمُ الـذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾[٣٤].

يقول الفخر الرازي: يستحيل أن يخلقـوا الـذباب حـال اجتمـاعيهم فكيـف حـال انفرادهم... وأترك أمر الخلق والإيجاد وتكلم فيما هو أسـهل منـه فـإن الـذباب إن سلب منها شيئًا فهي لا تقدر على استنقاذ ذلك الشـيء مـن الـذباب[٣٥]، ففـي هـذه

---

(٣٢) أ.ب برونسكي، الكائن الحي والتطور البيولوجي، ص٢١٠.

(٣٣) أ/ محمد أحمد باشميل، الإسـلام ونظـرية داروين، ص٣٨، الطبعة الثالثة ١٣٠٤هـ ــ١٩٨٤م، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت.

(٣٤) سورة الحج: الآية (٧٣).

(٣٥) التفسير الكبير ــ للإمام البخر الرازي ــ المجلد ١٢، ج٢٣، ص٦٩.

الآية مشهد مصور فيه إعلان عن مدى ضـعف الآلهـه التـي تعبـد مـن دون الله التي يستعينون بها ويطلبون منها العـون والـرزق والنصـر فلـو اجتمعـت هـذه الآلهه على خلق الذباب فلن يستطيعوا، ولـيس هـذا فحسـب بـل إن الـذباب لـو سلب منهم شيئًا لايستطيعون استرجعاه واسترداده.

٧ـإن الدارس لفكرة الانتخاب الطبيعي لا يجد صعوبة فـي الحكـم عليهـا، بأنهـا تفتقد المنهج العلمي، كما أنها تفتقد الواقعيـة، حيـث تنسـب إلـى المـادة الصـماء الميتة قدرتها علـى الحركـة الداخليـة، والإرادة والتمييـز حتـى منحـت نفسـها الاستمرار والقفز فوق السلم التطـوري، فكيـف تكـون مـادة ميتـة خـام، وتقـوم بالتطور من ذاتها، ألا يعتبر ذلك مخالفة للضرورة العقليـة؛ لأنـه إذا كانـت هنـاك مادة خام ميتة والميت لا تكون فيه حياة[٣٦]، فكيف تنشأ الحياة عن الميت.

لقد أفسد التطوريون العلاقة بين المادة الصماء والخلية الحيـة، حينمـا نسـبوا إلـى المادة الصماء القدرة على الخلق والإيجـاد، ونزعـوا عـن المـادة الحيـة إحـداث أنواع من التطورات بداخلها، وهو اتجاه ينبـئ عـن ضـيق أفـق، ولا يمهـد إلـى قاعدة البناء العلمي؛ لأن أبجديات العلم تقـوم فـي جملـة مـن الـدقائق أبسـطها، إجراء قوانين الفكر الأساسية؛ وهي على النحو التالي:

الأول: قانون الذاتية: ومعناه أن هـذا الشـيء لـه طبيعـة خاصـة، يقـوم فيهـا، ويستحيل أن يوجـد فـي غيرهـا، وهـذه الذاتيـة قيامهـا فـي الـذاتيات، لا فـي

---

(٣٦) **الموت:** هو انفصال العلاقة القائمة بين الجسم والروح، ولا يتم ذلك إلا إذا خرجت الروح مـن البدن ولم تعد إليه، أما إذا عادت إليه فإن المسألة لا تعدو أن تكون إحدى العوارض الطارئة على حركة الجهاز العصبي، ثم لا تلبث أن تعود إلى وضعها الطبيعي.

العرضيات، مثاله قولنا هذا محمد، وهذا سعيد، فـإن كـلا مـن محمـد وسـعيد لـه ذاتية خاصة، وصفات مقومه، وأعراض بعضها لازم قار[٣٧].

وبناءً على هذا القانون، فإن المادة الصماء، ليسـت هـي الخليـة الحيـة، ولا تقـوم مقامها، فدعوى أن المادة الصماء تحولت إلى خليـة حيـة لا يسـتقيم مـع قـوانين الفكر الأساسية.

الثاني: الغيرية[٣٨]: وهو الذي يقـوم علـى أن هـذا الشـخص غيـر ذاك، فأحمـد غير محمد، وعلي غير سعيد، وهذا مما تشهد بـه الوقـائع اليوميـة، وقائمـة فـي الفطر الإنسانية. وبناءً عليه، فإن مـا ذهـب إليـه التطوريـون يكـون فاسـدًا؛ لأن المادة الصماء غير الخلية الحيـة، وليسـتحيل أن تتولـد أحـداهما مـن الأخـرى، نظرًا لأن حقائق الأشياء ثابتة طبقًا لقانوني الذاتية والغيرية.

الثالث: عدم التناقض، أو الثالث المرفـوع: وهـو القـائم علـى أن محمـدًا لـيس محمد، وأحمد ليس أحمد، وعلي ليس علي، وهـو حقيقـة التنـاقض[٣٩]. ومـن ثـم

---

(٣٧) **العرض القار هو**: الملازم لصاحبه في الخارج، ولا ينفك عنه كالسواد للغراب، ويسمى العرض القار من حيث أن أجزاءه تجتمع في الوجود كالبياض والسواد، أما غير القار الـذاتي لا يجتمـع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون.
السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، ص١٩٢، حققه: أ/ إبراهيم الإبياري، دار الريان للتراث.

(٣٨) **الغيرية**: هي كون كل من الشيئين غير الآخر، ويقابله العينيـة؛ وهـو بخـلاف الإثنينيـة؛ لأن الإثنينية هو "كون الطبيعة ذات وحدتين، ويقابله كون الطبيعة ذات وحدة أو وحدات".
انظر: المعجم الفلسفي، دكتور/ عبدالمنعم الحفني، ص٢٢٩، طبعة دار الشرقية، الطبعة الأولـى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٣٩) **التناقض**: من قوانين الفكر يكون بين المفردات، أما إذا كان بين الجمل فإنه يدور بين الإيجـاب والسلب، نظرًا لعلاقة الضم وهي الإيجاب أو علاقة الفصل وهي السلب، فنقول في الأولى العلـم مفيد من باب الحمل؛ لأنها قضية حملية ونقول الظلم ليس مقبولاً في القضية الحملية السلبية.
المعجم الفلسفي، د/ عبدالمنعم حفني، ص٦٩.

فإن قانون عدم التناقض شاهد بأن جميع مـا ذهـب إليـه التطوريـون واقـع فـي التناقض، وباطل طبقًا لتطبيقات قوانين الفكر الأساسية.

ما من شك فـي أن الانتخـاب الطبيعـي لـدى القـائلين بـه لا مجـال فيـه للاعتراف بالخالق العظيم جل وعلا، ولا أثر لإرادة أو اختيـار، وإنمـا القـائم هـو التطور التلقائي، والتولد الذاتي في ظـل مراقبـة الطبيعـة وحـدها، باعتبـار أنهـا لازمت كل كائن وأشرفت بنفسها على وجـوده، ومراحـل تطـويره منـذ ظهـرت الحياة لأول مرة على ظهر الكون الذي نعيش فيه[٤٠].

وأيما كان الأمر، فإن أصحاب القول بالانتخاب الطبيعـي قـد فـاتهم الكثيـر، ولـو أنهم اهتدوا بهدي الله، والتزموا تعاليمه، وما جاء من عنده، ربمـا لـم يوغلـوا فـي هذا التجاوز، ولم يتحولوا بقدرة المخلوق حتـى تكـون بـديلاً عـن قـدرة الخـالق العظيم جل وعلا؛ لأن القواعد التـي تعبـر عـن السـنن الألهيـة، قائمـة فـي أن الطاعات تزيد النعم، والمعاصي تجلب الـنقم، ويسـتدل عليـه بقولـه تعـالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[٤١].

كما أن التوجه نحو الإله الخالق يفتح باب الفهـم ويثـري ملكتـه، ويجعـل مسـاحة التقوى متزايدة، يدل عليه العديـد مـن النصـوص الدينيـة، منهـا قولـه تعـالى:

---

(٤٠) الأستاذ/ وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص١٤٧، دار الاعتصام ١٩٧٣.

(٤١) سورة إبراهيم: الآية (٧). يقول الإمام الرازي: "هو عبارة عن الاعتراف بنعمـة المـنعم مـع تعظيمه، وتوطين النفس على هذه الطريقة، وأما الزيادة في النعم فهـي أقسـام، منهـا: الـنعم الروحانية، ومنها النعم الجسمانية ... والاشتغال بالشكر يوجب مزيد النعم الروحانية والجسمانية. الإمام الفخر الرازي ــ مفاتيح الغيب ــ المجلد العاشر، ج١٩، ص٩٢، ٩٣.

ومن ثم فهذه الآية الكريمة تحمل إلينا الوعد الصادق من الله تعـالى، فلابـد أن يتحقـق وهـو الاعتراف بالنعمة وشكرها يزيدها، والكفر بنعمة الله تعالى بعدم شكرها أو نسبتها إلى غيـر الله تعالى يستوجب العذاب الشديد.

﴿واتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِـيمٌ﴾[٤٢]، كمـا أن مسـاحة الارتبـاط بالله تعالى مـن الأداء الـوظيفي للعقـل الـواعي، واسـتخدام ذلـك علـى النحـو المشروع يحقق للفرد الواعي الخير كله، يدل عليـه قولـه ﷺ : (مـن يـرد الله بـه خيرًا يفقهه في الدين).

أضف إلى ما سبق أن قصة الانتخاب الطبيعي أسطورة خياليـة؛ لأنهـا لـو كانـت حقيقة علمية لشاهدناها، والـذي يقـع بالمشـاهدة، ويجتمـع العلمـاء عليـه تكـون شهادتهم حجة لهم، بدليل أننا نحن المسلمين في دراسـتنا لقضـايا العقيـدة، يتقـرر عندنا أن طريق إثبات المعجزات لا يخرج عن اثنين:

أولهما: المشاهدة لمن رآهـا وعاصـرها، ومـن هـذا البـاب ثبتـت المعجـزات الحسية مهما كانت أعدادها[٤٣]، يـدل عليـه أن القـرآن الكـريم كثيـرًا مـا ذكـر معجزات الأنبياء السابقين، ومواقف أقوامهم منهـا كالحـال مـع إبـراهيم ــ عليـه السلام ــ وإحياء الله له الطيور المذكورة في

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَـوْتَى قَـالَ أَوَلَـمْ تُـؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُـرْهُنَّ إِلَيْـكَ ثُـمَّ اجْعَـلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّـنْهُنَّ جُـزْءًا ثُـمَّ ادْعُهُـنَّ يَأْتِينَـكَ سَـعْيًا وَاعْلَـمْ أَنَّ اللّـهَ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ﴾[٤٤]، ففي هذه الآية الكريمـة أمـر الله تعـالى خليلـه وكليمـه إبـراهيم، أن

---

(٤٢) سورة البقرة: من الآية (٢٨٢).

(٤٣) سميت حسية؛ لأن إثباتها بالحس عن طريق البصر، يدل عليه أن سحرة فرعون لما ألقوا حبالهم وعصيهم، وألقي موسى عليه السلام عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون، فخروا ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

(٤٤) سورة البقرة: الآية (٢٦٠).

يختار أربعة من الطير، وأن يتأكد من صـفاتها ومميزاتهـا، وأن يـذبحهن ويمـزق أجسادهن، ويفرقها على الجبال المحيطة، ثـم يـدعوهن فتتجمـع أجـزاؤهن مـرة أخرى، وتعود إليهن الحياة ويعدن إليه سعيًا.

ثانيهما: النقل المتواتر بالنسبة لمـن لـم يشـاهد أو يعاصـر، وهـو عمـل العقـل الواعي وليس عمل المشاهدة، والقرآن الكريم هو النقـل الصـحيح المتـواتر، وقـد حدث عن معجزات الأنبياء السابقين على الوجه الذي يؤدي المطلوب.

وبإنزال هذه القواعد على الانتخاب الطبيعي تبين أنهـا نـوع مـن أنـواع الخـداع المعرفي؛ لأن المنهج العلمي[٤٥] يستلزم أن يـتم الانتخـاب مـن خـلال العناصـر القائمة على الناحية المنهجيـة، مهمـا اسـتغرقت مـن أزمـان بحيـث تقـدم ذات النتائج، فإذا لم تقدمها اعترت من قبيـل الآراء التـي لـم تنـل الصـدق المعرفـي، ولا اليقين الواقعي.

الفصل الثاني

عوامـــــــــــــــل ظهـــــــــوره

تعددت العوامل التي تؤدي إلى ظهور القول بالانتخـاب الطبيعـي، باعتبـاره أحـد أجزاء التطور الإحيائي، ولا يمكن الحديث عن أي جانب مـن تلـك الجوانـب، مـا لم يكن هناك حديث مسـتقل عـن الأسـباب التـي أدت إلـى ظهـوره، وإلا كـان الحديثُ بعيدًا عن المصادر الصـحيحة، وأهـم الأسـباب التـي أدت إلـى ظهـور الانتخاب الطبيعي، والتطور الإحيائي على الجملة، منهـا أسـباب نفسـية، وأخـرى علمية، وثالثة تاريخية، ورابعة استردادية انتزاعيـة، ويمكـن هنـا أن أشـير إلـى كل من الأسباب النفسية فعديدة، من أبرزها:

---

(٤٥) **المنهج العلمي:** خطه منظمه بعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشـف حقيقـة أو برهنه عليها. المعجم الفلسفي ــ مجمع اللغة العربية ــ ص١٩٥.

١ــالتفريغ الانفعالي:

وهو وجود كمية هائلة مــن الضــغوط النفســية، أدت علــى نــوع مــن التــزاحم الشحني بالآلام والأحزان، فلما لم يجد طريقًــا يــنفس بــه عنهــا لجــأ إلــى العلــم وسيلة للطعن على الدين الكنســي، الــذي ينتســب إليــه، حــدثت لــه اضــطرابات ذهنية عبرت عنها سلوكيات غير مقبولة من الناحية العلمية.

ومن المقرر في الدراسات النفسية أن المــرء العاقــل إذا حبســت ملكاتــه[٤٦] ولــم يتمكن من استخدام آلاته[٤٧]. ومما يؤكــد هــذا مــن الناحيــة التوظيفيــة أن دارون كانت اتجاهاته النفسية طامحة إلى بلوغ موقع أكبر ممــا هــو فيــه إذ كــان يتطلــع إلى القيادة، ويرى أنه أحق بإمساك شراع قيادة بــلاده، فلمــا لــم يفلــح فــي ذلــك أكثر من الحديث عن الأجناس البشرية اعتقادًا منه أن ذلــك يحقــق لــه قيــادة مــن نوع آخر، ولكن أمانيه عاندته، وأحلامه تبرأت منه[٤٨].

بل إن الرجل وأمثاله كانوا يعانون مشكلات نفســية، بــدليل أن هكســلي لــم يكــن على قدرٍ من المساواة مع غيره في التمتع بحقوقه الأساســية، إذ كــان يــرى نفســه

([٤٦]) **الملكة:** هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل مــن الأفعــال، ويقال لتلك الهيئة: نفسانية، وتسمى: حالة، ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكــة. التعريفــات ــ للجرجــاني ص٢٩٦.

([٤٧]) **الآلات:** جمع آله وهي مالها صورة خارجية وتؤدي وظائف أقرب ما تكون إلى الآلية كاليد آلــة للبطش، والقدم آله للسعي، والأذن آله للسمع، والعين آله للبصر، والأنف آله للشم، واللسان آلــه للتذوق، أما الملكات فهي القائمة في المخ، وتتغذى تلك الآلات، بل تمدها بالحيوية، فإذا تعطلــت الملكة تعطلت الآلة وهو ما يكشف عن وجود علاقة قوية بين الآلات والملكات.

([٤٨]) راجع: د/ محمد حسيني موسى الغزالي، التطور الإحيائي بين الدين والفلسفة، ص٣٦١، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٤م، مطبعة الصواف بالزقازيق.

أعلى من أن يخضع للآخرين، لكنه لا يملك الجرأة التي تعينـه علـى إعـلان ذلـك فاحتبس ألمه في صدره رغما عنه، وكان يبحث لها عـن مخـرج، فلمـا لـم يقـف على هذه الوسيلة لجأ على العلوم والمعارف فكانـت لـه اتجاهـات لـم تتفـق مـع العرف العام[٤٩].

لقد أراد هكسلي أن يصنع لنفسه مجدًا، فهرع إلى العلـوم الطبيعيـة التـي لـم تكـن تحظى بالدراسات الجادة في ذلك الوقـت،ولم يكـن ذلـك مـن بـاب الحـب لهـا والتيقن منها، وإنما من باب أنها التي تعينـه علـى غايتـه، فلجـأ إلـى السـلالات الطبيعية وزعم أنها تجئ فـي ترتيبـات بعينهـا، وأن هـذه الترتيبـات تبـدأ مـن الأدنى في الوجود حتى تبلغ الأرقى، ولا يمكـن لهـذه السـلالات أن تقفـز دون أن تدرج في سلم الترقي درجًا بعد الآخر[٥٠].

ولم يكن لامارك أحسن حالاً من سـابقيه، ولا كـان مـالتوس أقـدر مـن تجـاوز الأزمات النفسية، وإنما كان يعاني من الاضـطرابات النفسـية وقـد ترتـب عليهـا ظهور الكثير من السلوكيات غيـر المقبولـة[٥١]، فبـان أن دافـع القـول بـالتطور الإحيائي له جذور ثابتة في الأمراض النفسية من خلال الدوافع السلبية.

٢ــ استرداد الكرامة السلبية:

---

(٤٩) د/ رزق عبدالعاطي صبري، الفلسفة الحديثة ومشكلات أعلامها، ص١٥١، طبعة مكتبة الشباب ١٩٤٨م.

(٥٠) الأستاذ/ عبدالعظيم محمد زهران، أعلام الفلسفة الحديثة، ص٢٥٧، طبعة دار الرشـيد، دمشـق ١٩٨١م.

(٥١) وليم بارت، الأزمة المعرفية والأبعاد النفسية، ص١٥٤، ١٥٥، ترجمـة: يسـري زكريـا، ط المعرفة، بيروت ١٩٧٨م.

المطالع لما فيه المجتمعات الأوروبيـــة، وبخاصـــة إبـــان العصـــور الوســـطى يجـد نظامًا طبقيًا تبدو فيه كل مـــن طبقـــة رجـــال الـــدين، وطبقـــة الحكـــام، ثـــم طبقـــة الإقطاع، وفي أسفل الطبقات توجد طبقة الفقراء والعبيد(٥٢).

لقد استطاع الحكام، ورجال اللاهوت أن يتعاونوا علـــى ترســـيخ حكـــم الملـــك عـــن طريق السلطة الدينية، ودعم السلطة الدينية عـــن طريـــق الملـــك وباتـــت الطبقـــات الأخرى محل شك، تجـــادل فـــي ســـبيل البقـــاء، وكانـــت طبقـــة الإقطـــاع إحـــدى الطبقات التي أفلتت من ذل العبودية(٥٣)، ومع هذا فقـــد كـــان الجميـــع يعـــاني مـــن النظام الطبقي على ناحية من النواحي.

اســـتطاع الحكـــام ورجـــال اللاهـــوت وجملـــة الإقطـــاعيين أن يكونـــوا أصـــحاب امتيازات عليا، وفي المقابـــل عـــاش الفقـــراء والعبيـــد فـــي أدنـــى طبقـــات الســـلم الاجتماعي حيث يذوقون صنوف العـــذاب، وهـــم فـــي ذات الوقـــت المستضـــعفون المعذبون في الأرض(٥٤).

وقد ترتب على هذا التفاوت الكبيـــر بـــين الطبقـــات وجـــود العديـــد مـــن النـــوازع النفسية، والصراعات الطبقية التي استمرت في الخفاء طـــويلاً، فلمـــا قـــدر لهـــا أن تعرب عن نفسها ظهر الانفلات الأخلاقـــي والقيمـــي والـــديني، وكـــان التطوريـــون هم الذين غذوا تلك المشاعر العدائية، ظنًا منهم أنهم يستردون كرامتهم السليبة.

يقول لوكهايد: "لقد كان التطوريون أشبه بالقنبلة الموقوتـــة، ولكـــن فتيلهـــا لـــم يكـــن بأيديهم، ومن ثم لجاؤا إلى الفلسفة الطبيعية، كما راحـــوا يتلمســـون طـــرائقهم نحـــو التاريخ الطبيعي، حيث وجدوا فيه السلوى، كمـــا ظنـــوا أن بـــين شـــاطئية الأمـــان،

---

(٥٢) د/ علي حسن سلطان، أوروبا والنظام الطبقي، ص١١٤، طبعة دار الجيل ١٩٩٨م.

(٥٣) د/ عبد العزيز محمد صالح، أوروبا والعصور الوسطى، ص١٧٣، طبعة أولى ١٩٧٥م.

(٥٤) د/ سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا والعصور الوسطى،ج٢،ص٣٩٦، طبعـــة مكتبـــة الأنجلـــو المصرية ١٩٨٦م.

ولكنهم ضلوا الطريق، إذ لم يكن هـذا العلـم كافيًـا لاسـترداد أرصـدتهم العقليـة، التي ملأها العنف الداخلي، وسيطرت عليها الرغبة في الانتقام"[٥٥].

ومن ثم فإن ما قام به هؤلاء لم تكن غايتهم البحث العلمـي، بقـدر مـا هـي رغبـة في إعلان الثورة على كافة الأنظمة بغية اسـترداد الكرامـة المسـلوبة، وأن يكـون لهم مكان في السلم الاجتماعي وهو ما يعرف بالمواطنة، وهـذا مـن شـأنه الطعـن في كل الثوابت، ما دام ذلك يؤدي إلـى الغايـة المقصـودة، تطبيقًـا لمبـدأ الغايـة تبرر الوسيلة.

٣ـ الضغط على الكنيسة ورجالها:

تبنت الكنيسة منذ نشأتها جملة من المعتقدات الدينية، التـي لـم تقـم أدلـة صـحيحة عليها ومن أبرزها عقيدة التثليث، ومـوت الإلـه عـن طريـق الصـلب والفـداء، وأخذت الكنيسة تلزم الناس اعتقاد تلك الأفكار مع أنها لـم يقـم دليـلٌ عليهـا، بـل على العكس قامت التساؤلات في مواجهتها حتى أتـت عليهـا، وعـرف ذلـك فـي عصر النهضة باسم الثورة النقدية، أو مدارس النقد العصري[٥٦].

كما أن الكنيسة بتعاونها مـع السـلطة الحاكمـة ضـيقت علـى الفكـر الإنسـاني، وأخافت الجميع بالعقوبات التي كانت تنزلهـا علـى المخـالفين، وبخاصـة أولئـك الذين أصدر رجال اللاهوت عقوبات عليهم، وتم تطبيقهـا، ومنهـا القتـل والحـرق

([٥٥]) نورمان لوكهايد، الثورة الفكرية في عصر النهضة: وتاريخ ومشكلات، ج٢، ص٥٣، ترجمـة: هناء الطويل، مطبعة بو عزيز، مراكش ١٩٨١م.

([٥٦]) المقدمة الرائعة التي كتبتها الدكتورة/ نازلي إسماعيل لكتاب عمانويـل كانـت ـ مقدمـة لكـل ميتافيزيقا نقدية مقبلة يمكن أن تصير علمًا عمانويل كانت ـ ترجمة نـازلي إسـماعيل حسـين، ص١٨، الناشر: دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٨م.

إلى غير ذلك مما أفرزته محاكم التفتـيش[٥٧]. وكـان النـاس ينظـرون إلـى تلـك الجرائم التي ترتكبها الكنيسة فتضيق صدورهم زرعًا.

وكلما اشتطت الكنيسة في العقوبات اتسعت مسـاحة الكـره لهـا ولرجالهـا، ولكـن الرغبة زادت في الخـلاص مـن سـلطاتها، وكيـف يـتم الإعـلان عـن رفـض تصرفات رجال اللاهوت وأحكام الكنيسة الجائرة، إن الحل هـو فـي الثـورة علـى الكنيسة، وبناءً عليه فلابد من اتخاذ الحيل التـي تسـمح ببيـان أن معـارف رجـال اللاهوت غير صحيحة من الناحية العلمية، وهذا في حد ذاتـه يعـين علـى التقليـل من سلطة الكنيسة في نفوس الناس[٥٨]، كما يساهم في إنزالهم المنازل المتدنية.

وقد فرض هؤلاء على نشر ما يريدون حتى يمارسوا أنواعًـا مـن الضـغوط علـى الفكر الكنسي، الذي اعتقد أصـحابه أن آراء أرسـطو فيلسـوف اليونـان مقدسـة، ويجب أن تصير جزءًا من مقدسات الكنيسـة، وتبنـوا آراءه مهمـا كانـت مخالفـة لبديهيات العقول.

ومن الشواهد عليه أن أرسطو كان يقول إذا ألقينـا بجسـمين مختلفـي الـوزن مـن مكان عالٍ فإن الجسم الأثقل ينـزل إلـى الأرض قبـل الأخـف[٥٩]، وهـي مسـألة

---

(٥٧) الدكتور/ رمسيس عوض، محاكم التفتيش، ص٩، طبعة دار الهلال ٢٠٠١م.

(٥٨) الدكتور/ سعيد مروان، محاكم التفتيش وعلاقتها بالتطور الإحيائي: دراسة مقارنة، ص٤٥، طبعة مكتبة الكرنك ١٩٩٨، والدكتور/ عبدالعظيم محمد البداري، الطواغيت (الآلهة البشرية)، ص٥٧، مطبعة الفجر، دمشق ١٩٨٧م.

(٥٩) هذه الأفكار ربما نالت القداسة في اليونان الأقدمين اعتقادًا منهم أن أرسطو لن يخطئ ولم يكونوا يبحثون عن صحة تلك الآراء، كما لم يتناولوها بالدرس والتحليل، وكـان الاعتقـاد السـائد أن أرسطو تمده الآلهة اليونانية بالأفكار الصحيحة التي تشكلت بها العقلية اليونانية في تلك الفتـرة.

زعمها الرجل على تلك الصورة مع أنها لم تكن موافقة للحقيقـة، بـل مخالفـة لهـا من كافة النواحي.

فلما قام جاليليو بالتجربة، بان له نزولهمـا معًـا فـي وقـت واحـد طبقًـا لقـوانين الجاذبية، وقد جربها على مرأى ومسمع من المشـاهد مـن وكـان ميـدان التجربـة هو برج بيزا، ومع هذا تم إعدامه من قبل الكنيسـة؛ لأنـه خـالف تعـاليم أرسـطو التـي تتبناهـا الكنيسـة وتتمسـك بهـا، وكـذلك الحـال مـع زامـوس ورينـو وكوبرنيقوس وغيرهم ممن لقوا هذا المصير(٦٠).

لقد كان الأوروبيون وبخاصة أولئك الذين عـانوا مـن قسـوة الكنيسـة ورجالهـا، يبحثون عن نقطة خلاص، ورأوا أن هذا يتحقـق لهـم متـى اسـتطاعوا التشـكيك في المعتقدات الكنسية وأن ينالوا منها، فلجاؤا إلـى دراسـة العلـوم الطبيعيـة، ولـم يكونوا مستعدين لها، فاستغلوا التاريخ الطبيعي ليكـون هـو الميـدان الـذي يكـون من خلاله يتم الإفساد للقواعد المعمولة(٦١).

راجع للدكتور/ علي صالح العفيفي، الفلسفة اليونانية تاريخ ومفكرين، ص٨١، ٨٢، طبعـة دار النهر ١٩٨٣م.

(٦٠) الدكتور/ عبد العظيم محمد البدري، الطواغيت، الآلهة البشرية، ص٦١، الدكتور/ خيري الدكر، المجتمع وعوامل تطوره، ص١٤٣، طبعة سعيد رأفت، ١٩٨٣م.

(٦١) الدكتور/ عبد العزيز محمد صالح، أوروبا والعصور الوسـطى، ص٢١١، ٢١٢؛ وللـدكتور/ محمد صبري بدوي، أثر محاكم التفتيش في ظهور التيارات المناهضة للـدين، ص٣١١، طبعـة المقطم ١٩٩١؛ وللدكتور/ فوزي محمود عبد العظيم، محاكم التفتيش وأخطارها علـى العقليـة الأوروبية، ص١٣٩، مطبعة الشباب ١٩٨٣م.

ومما يؤكد تلك النتيجة أن دارون[٦٢] كان مسيحي الانتســاب، ولكنــه كــان علمــاني الاتجاه، ملحد الاعتقاد، كافرًا بالــدين الــذي جــاءت بــه النصــوص الكنســية[٦٣]. كذلك الحال مع لامارك إذ كان يــرى أن الــدين المســيحي يجــب التخلــي عنــه، ورجال اللاهوت يجب أن يتنازلوا عن دعــواهم، أمــا الكنيســة فمــن الواجــب أن تغير أنشطتها، وتتحول عــن الــدين الجامــد إلــى الثقافــة التــي ترعــى مصــالح الأفراد[٦٤]، ولقد وجدت هذه الأفكار فرصة لها فــي النيــل مــن الســلطة الكنســية، وتوسعت في استغلالها على أوسع الصور.

أما رسل فلم يكن لديه استعداد للتفكير في أي قيد يحول بينــه وبــين رغبــات نفســه المنطلقة، وشهوات نفسه المندفعة، فكــان يعتقــد أن مــذهب الــلاّ أدريــة[٦٥] هــو

---

(٦٢) ذكرت بروتوكولات حكماء صهيون وهي التي ترسم السياسة العالمية اليهودية قولتها، "يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ... لقد رتبنا نجاح دوران وماركس ونيتشــه بالترويج لآرائهم، وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد.

انظر: البروتوكول الثاني لحكماء صهيون.

وتوضح هذه السياسة أن اليهود هم الذين صنعوا دارون وزجوا به في الساحة الفكرية ودافعــوا عن أفكاره حتى يشككوا الناس في الدين.

(٦٣) الدكتور/ حسن السيد حسن، التطوريون واتجاهاتهم الفكرية، ص٨١، مكتبة الجيل ١٩٨٧م.

(٦٤) الدكتور/ فوزي محمد يسري، زعماء التطورية بين الحقيقــة والخيــال، ص١٢٣، دار الجيــل، بيروت ١٩٦٧م.

(٦٥) **اللا أدرية (الاعرفانية):** هي كل موقف يذكر كليًا أو جزئيًا إمكان معرفة حقيقة الأشياء، أو البت في المسائل كوجود الله، ونهاية الكون، وخلود الروح ... إلخ. ولقد ظهرت النزعة اللا أدرية مع بيرون مؤسس المدرسة الشكية ومع السفسطائيين الذين قالوا بالتوقف في وجود كل شيء وعلمه،

المذهب الذي يجب اعتقاده وأن الـدين الـذي تمثلـه الكنيسـة يجـب نسـيانه، وأن التاريخ الطبيعي هو الإله الذي يجـب أن يعـيش الجميـع معتقـدين صـحة القيـام به[٦٦].

ومن البـين أن هـذه العوامـل بانضـمامها إلـى غيرهـا مـن الـدوافع النفسـية والوجدانية أدت إلى ظهور الأفكار التطورية فـي المجـال الإحيـائي، الـذي صـار هو الأرض الخصبة لاستقبال تلك الأفكار والعمل على رعايتها.

بل استطيع القول بأن التاريخ الطبيعي الـذي اسـتغله هـؤلاء للقيـام بمهـامهم لـم يكن استغلالاً علميًا بقدر ما هو معبر عـن نزعـة فكريـة ترتـب عليهـا ظهـور العديد من الانفلاتات الأخلاقيـة والمعرفيـة والدينيـة مـن النـواحي البالغـة حـد التنوع.

وكانت فكرة الانتخاب الطبيعي ثمرة من ثمـرات هـذا الانفـلات الـذي قـال بـه التطوريون الإحيائيون، وتم رصده مـن خـلال أفكـارهم ونقلـه علـى أنـه مـن تراثهم، وبهذا تبـين أن عوامـل ظهـورهم لـم تكـن معرفيـة ولا باعثهـا العلـم الصحيح.

من البين أن الفصل التالي سـيكون عرضًـا للانتخـاب الطبيعـي طبقًـا لمـا هـو متوفر من مصادر قال بها أصحابها، أو نقلت عـنهم، ثـم مناقشـتها مـن النـواحي

وقالوا إذا كان الشك يتطرق إلى الحسيات والبديهيات والنظريات، كان من الواجب على العاقل أن لا يقطع في شيء، واكتسبت اللا أدرية شكلها التقليدي في فلسفة هيوم وكانط.

معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ــ جلال الدين سعيد ــ ص٣٨٧، دار الجنـوب للنشـر، تونس.

(٦٦) الدكتور/ محمد عادل فوزي، زعماء التطور الإحيائي، ص١٣٨، الطبعة الأولى، مكتبة شـعبان ١٩٧٨.

التي تضعها في محلها، وتكشف أن الخلـق مـن سـنن الله، لأنـه لـم يحـدث أي تدخل ولن يحدث فيما خلق الله.

الفصل الثالث

مشـــــــــــــكلاته ـــ عرض ومناقشة

سلف القول بأن الانتخاب الطبيعي عملية دائمـة تقـوم بهـا الطبيعـة ذاتهـا، مـع الكائن الحي[٦٧]، من غير حاجة إلى سـلطة عليـا، أو إشـراف قـوة غيبيـة مهمـا كان شأنها، ومهما قيل فيها مـن ناحيـة القـوة والضـعف، أو الصـحة والفسـاد. وبناءً عليه فقد صار من الضروري عـرض مشـكلاته، ثـم المناقشـة لهـا علـى النحو التالي:

أولاً ـــ فكرة الاجتياح الطبيعي:

تقوم هذه الفكرة على أن المادة وجـدت بـذاتها، وانتشـرت فـي كافـة الأرجـاء، وتوسعت بذاتها، وقد صحبتها في هـذا الانتشـار والتوسـع جملـة مـن المقومـات التي تنفرد بها، ومنها التولد الـذاتي، والتحـول الصـيروري، مـع التركيـز علـى دور المصادفة البحتة التي قامت به تحت إشراف الطبيعة ذاتها.

وقد تمددت عملية الاجتياح هذه حتـى صـار الاصـطفاء النـوعي هـو الانتخـاب الطبيعي، وليد الطبيعة ولا شيء غيرهـا[٦٨]. وهـذه المسـألة يمكـن النظـر إليهـا ومناقشتها على العديد من الجوانب، وأبرزها:

١ـ الجانب التاريخي:

([٦٧]) هذا واحدٌ من التعريفات التي سبق ذكرها بالنسبة إلى مفهوم الانتخاب الطبيعي، ويمكن الرجوع إليه في صلب البحث.

([٦٨]) لأندرية توما هوك، نظرية التطور في الكائنات الحية، ص١٤٥، ترجمة: نصر الدين فواز.

لم يذكر التطوريون متى تم هذا الاجتياح، ومن الذي كـان حاضـرًا وقتـه فتحـدث عنه، وبما شاهد أن العقل الـواعي حينمـا يقـدم معطيـات، فلابـد أن يكـون لهـا دلائل واضحات، إما أن تلقي هكذا فهو رجم بالغيـب، وخـروج علـى البـديهيات، والله تعالى قال: ﴿**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ وَلَـا خَلْـقَ أَنفُسِـهِمْ وَمَـا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾[٦٩].

قال الطاهر بن عاشور: "فإنهم لما لم يشهدوا خلـق السـموات والأرض لـم يكونـوا شركاء لله في الخلـق بطريـق الأولـي ... والإشـهاد: جعـل الغيـر شـاهدًا أي حاضرًا، وهو هنا كناية عن إحضار خاص وهـو إحضـار المشـاركة فـي العمـل أو الإيمان عليه ... وأعلم أن الله تعـالى خلـق السـموات والأرض قبـل أن يخلـق لهما سكانهما"[٧٠].

كما أن التاريخ في حد ذاته وحدات منفصلة علـى الناحيـة الاعتباريـة، والانتخـاب الطبيعي لابد أن يكون قد تم في حقبة زمانيـة، يتمثـل فيهـا هـذا الاجتيـاح مـن الناحية الواقعية فأين هو هذا التاريخ، وما هي المظاهر التي بـدا فيهـا، كـل ذلـك لا توجد له أدلة تاريخية، كمـا لا تشـهد لـه حقـائق علميـة[٧١]. فثبـت بهـذا أن التاريخ الإنساني العام لا يشهد للتطوريين بعملية الاجتيـاح، وبالتـالي تفتقـد فكـرة الانتخاب الطبيعي أحد الأسس التي قامت عليها.

٢ــ الجانب الإحيائي:

---

(٦٩) سورة الكهف: الآية (٥١).

(٧٠) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ تفسير التحرير والتنوير ــ ج١٥ ص٣٤٢. ففي الآية الكريمة أن الله تعالى لم يشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم إنما هم خلق من خلق الله تعالى لا يعملون غيبه ولا يستعين بهم.

(٧١) الأستاذ/ وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص١٤٧، دار الاعتصام بالقاهرة.

لم يذكر أصحاب القول بالاجتياح مفهومًا محددًا له، وكأنهـا رميـة مـن غيـر رام، أو صيحة في فراغ، ولو كانوا على يقين ممـا ذكـروا فمـا هـي التجربـة التـي قاموا بها حتى وصلوا إلى النتيجة التي أعلنوهـا، والقاعـدة فـي الأمـور الطبيعيـة على وجه العموم قائمة على التجربة الصادقة، فإذا لـم توجـد تلـك التجربـة فـإن الذي نسب إليها لم يكن صحيحًا من الناحية العلمية.

يقول الأستاذ النمر: "إن التطوريين قد أخفقوا في تقـديم دليـل واحـد علـى فكـرة الانتخاب الطبيعي، وأن مـا ذكـروه بخصـوص الاجتيـاح لا توجـد لـه مظـاهر واقعية، إنما هو فكرة خيالية من الأولـى لـذوي العقـول السـليمة الـتخلص منهـا والتخلي عنها، فذلك مما لا تشهد له قاعدة إحيائية"[٧٢].

ومن البين أن القوانين الإحيائية لم تنشأ دفعـةً واحـدة، وإنمـا اسـتغرقت مراحـل عديدة وهذا في حد ذاته كافٍ للقول بإسـقاط فكـرة الاجتيـاح الإحيـائي، وبالتـالي تتهاوى أركان نظرية الانتخاب الطبيعي.

٣ــ الجانب التطبيقي:

إذا كان التطوريون يعتقدون أن المادة الصماء العميـاء تولـدت عنهـا الحيـاة التـي ابتدأت بالخليـة الأولـى ذات الطبـائع المتميـزة، فلمـاذا لـم يسـتمر هـذا الأداء البطولي للمادة العمياء ونحن ننتظـره منـذ آلاف السـنين، فهـل اسـتطاع هـؤلاء اختراق الغيب، والإدلاء بما فيه حتى يكون لهـم وحـدهم حـق حكايتـه والتحـدث باسمه[٧٣]، أم أن الجانب التطبيقي يكذبهم في كل ناحية.

٤ــ النصوص الدينية:

---

(٧٢) الأستاذ/ محمد صالح النمر، التطور الإحيائي وموقفنا منه، ص٨١، طبعة مكتبة فؤاد ١٩٦٣م.

(٧٣) هذه التساؤلات تدور في أفئدة الكثيرين وتبني عليها العديد من النتائج ذات الطبيعة الاسـتقرائية، فإذا ما انتهى الأمر إليها بان أن الأفكار التطورية ليس لها سندٌ تاريخي أو علمي بقدر مـا هـي خيال حالم اندفع به إلى منطقة يجهل جوانبها.

تقوم فكرة الاجتياح والانتخاب الطبيعي على تصـور أن هنـاك جمعًـا كثيـرًا مـن تلك المخلوقات، والإنسان إنما هو متولد أو هو ناتج عمليـات تمـت علـى كائنـات سابقة كالأسماك أو الزواحف أو القردة حسـب تصـوراتهم، التـي أعلنـوا عنهـا، غير أن النصوص الشرعية لا تصدقهم، بل على العكـس تجـئ قاطعـة أوهـامهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمِـن كُـلِّ شَـيْءٍ خَلَقْنَـا زَوْجَـيْنِ لَعَلَّكُـمْ تَـذَكَّرُونَ**﴾[٧٤]، فالزوجية في المخلوقات قائمة علـى أنهـا سـنة إلهيـة بحيـث تبقـى الوحدانيـة خالصة لله جل علاه.

يقول ابن عاشور أن في هذه الآية: صفة خلـق تلـك الموجـودات، لمـا فيـه مـن دلالة على تفرد الله تعالى بالخلق المسـتلزم لتفـرده بالإلهيـه، فقـال:﴿**وَمِـن كُـلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾، والزوج: الـذكر والأنثـى. والمـراد بالشـيء النـوع مـن جنس الحيوان، وتثنيه زوج هنا؛ لأنه أريد به ما يزوج به ذكر وأنثى.

وهذا الاستدلال عليهم بخلق يشـاهدون كيفياتـه وأطـواره كلمـا لفتـوا أبصـارهم، وقدحوا أفكارهم، وهو خلق الذكر والأنثى ليكون منهما إنشـاء خلـق جديـد يخلـف ما سلفه وذلك أقرب تمثيل لإنشاء الخلق بعد الفنـاء وهـو البعـث الـذي أنكـروه؛ لأن الأشياء تقرب بما هو واضح من أحوال أمثالها ولـذلك أتبعـه بقولـه: ﴿**لَعَلَّكُـمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ أي تتفكرون في الفروق بين الممكنـات والمسـتحيلات، وتتفكـرون فـي مراتب الإمكان فلا يختلط عليكم الاسـتبعاد وقلـة الاعتيـاد بالاسـتحالة فتتوهمـوا الغريب[٧٥].

---

(٧٤) سورة الذاريات: الآية (٤٩).

(٧٥) الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ ج٢٧ ص١٧، ١٨ ــ طبعة الدار التونسية للنشر.

والزوجية واردة في الكونيات، فالسـماوات سـبع والأرضـون سـبع، ومجموعهمـا أربعة عشر لا مكان فيها للفردية أو الفردانية[٧٦]، وفـي المجـال الحيـوي نجـد الزوجية قائمة في الإنسان رجل وامرأة، ذكـر وأنثـى، وفـي الحيـوان كالمـاعز، أو البقر ذكر وأنثى، وقد دلت النصـوص الشـرعية علـى هـذه الزوجيـة فأهـل الكهف صحبهم كلبهم وهو واحد الزوجية[٧٧].

ومحل الشاهد أن الكلب جاء هنا علـى سـبيل التـذكير ولـم يقـل كلبـتهم، ومـن المعروف أن المذكر إذا ورد فهم المؤنث مـن ناحيـة المقابلة،ومنـه قولـه تعـالى: **﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـا أَيُّهَـا النَّمْـلُ ادْخُلُـوا مَسَـاكِنَكُمْ لَـا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**[٧٨].

ومحل الشاهد أن كلمة نملة جاءت هنا مؤنثة لتدل بـلازم الدلالـة علـى أن المـذكر إذا ورد ذكره فهم منه معنى المؤنث، وإذا ورد المؤنـث فهـم منـه معنـى المـذكر وهو المدلول عليهما معًا بلفظ الزوجية.

وفي آدم أب البشر جـاءت آيـات القـرآن الكـريم ذاكـرة أن آدم خلقـه الله خلقًـا متفردًا ولم يكن معه غيره، وما دام آدم عليه السلام قـد خلـق مسـتقلاً لا أب لـه،

---

(٧٦) الفردية وصف يلحق بالعدد وإذا لاحظنا هذا نجد أن كل سـماء تقابلهـا أرض، وهـو معنـى الزوجية، وفي ذات الوقت فإن الفردانية إنما هو امتياز وتفرد بالخصائص والصفات حتى تكـون كافة الكائنات فيها تلك الصفة الفردانية وذلك لحكمة إلهية إذا أخذت من تلك الناحية دلت على أن الخالق لها هو الله العظيم الذي له صفات الجلال والكمال وهو المنفرد بها جميعًا.

(٧٧) أهل الكهف عُد كلبهم في عددهم بدليل قوله تعالى: **﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾**، وهم الجماعة الذي لا يشقى جليسهم حتى لو كان هو كلبهم، وكذلك ذكر كثير من العلماء أنـه مـن حيوانـات الجنة.

راجع: للشيخ/ محمد بن عبدالله بن عليان، الجُنة في ذكر حيوانات الجنة، ص٦٥، ٦٦، طبعة دار سعادة ١٣٠٦هـ.

(٧٨) سورة النمل: الآية (١٨).

ولا أم، ولا أقران، ولا أتراب. فقد دل الأمر على سـقوط فكـرة الاجتيـاح تهـاوى فكرة الانتخاب الطبيعي لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنـدَ اللّـهِ كَمَثَـلِ آدَمَ خَلَقَـهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾(٧٩).

ونفس المسألة بالنسبة لحواء فقد خلقت واحدة بقدرة من يقـول للشـيء كـن فيكـون دون أن يحدث صراع أو اجتياح دل على ذلك

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّـذِي خَلَقَكُـم مِّـن نَّفْـسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَـقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَـاء وَاتَّقُـواْ اللّـهَ الَّـذِي تَسَـاءلُونَ بِـهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾(٨٠).

كما أرشدت آيات القرآن الكـريم إلـى سـقوط فكـرة الاجتيـاح، وتهـاوى فكـرة الانتخاب الطبيعي حين جعلت الخلق الأول المنسـل مـن آدم وحـواء قائمًـا بقـدرة الله جل علاه المدلول عليه بالخلق في قوله تعالى: ﴿**يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَـاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنـدَ اللَّـهِ أَتْقَـاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾(٨١).

وبهذا سقط المقـوم الاجتيـاحي مـن الحسـبان، ومعـه تهـاوى الانتخـاب الطبيعي، وليس بعد بيان الله تعالى بيان.

ثانيًا ـــ فكرة التأثير الانتقائي:

تم تقسيم الأفراد طبقًا للصفات المتباينة إلى قسمين:

---

(٧٩) سورة آل عمران: الآية (٥٩).
(٨٠) سورة النساء: الآية (١).
(٨١) سورة الحجرات: الآية (١٣).

القسم الأول : أصحاب الصفات ذوي الاختلافـات المتلائمـة، وهـؤلاء يقـع بينهم التكاثر والبقاء أيضًـا[٨٢]. ومـا دام التكـاثر والبقـاء يتعاقبـان فـإن عمليـة الانتقاء ستكون بينهم. يقول بنسـيون: "إن الأفـراد الـذين توجـد بيـنهم اختلافـات متلائمة تبقى أنواعهم، وهم الذين يقع فيهم التأثير الانتقـائي"[٨٣]، علـى ناحيـة مـن النواحي الإحيائية.

ومعناه أن كل الكائنات الحيوية اتسمت بمجموعـة مـن الصـفات، بعضـها ذاتـي وبعضها عرضي[٨٤]، والتأثير الانتقائي معنـاه أن الكثيـر مـن الصـفات تتلاشـى، وبعضها يبقى في نسبة أعلى من الأفراد الذين توجد بينهم اختلافات ملائمة.

القسم الثاني: الذين توجد بينهم اختلافات غيـر ملائمـة، وهـؤلاء حتمًـا يموتـون ولا يقع بينهم أي نوع من التكاثر،وبناءً عليه فـإن التـأثير الانتقـائي النـاتج عـن التباين في الصفات هو الحاكم فـي المسـألة، والقاضـي الـذي يسـمع رأيـه فـي القضية[٨٥].

---

(٨٢) الدكتور/ محمود صالح السعدني، البناء الخلوي وعلاقته بالتطور، ص٣٧، الطبعة الأولى١٩٩٧، مكتبة ليلى.

(٨٣) جورج أ. بنسيون، التطور الإحيائي من منظور حيوي، ص٨٥، ٨٦، ترجمة: عـادل فـوزي، مكتبة الكرنك ١٩٩٧م.

(٨٤) **الصفة الذاتية:** هي التي تلحق الموصوف باعتبارها ثابتة فيه لا تنفصل عنه في الواقـع، رغـم جواز انفصالها عنه في الذهن كالألوان الأبيض والأسود إذا كان الموصوف بها لا ينفصل عنهـا مثل السواد للغراب.

أما العرضية: فإنها تتخلف حينًا وتجئ آخر، ومن ثم سميت صفة عرضية كالكتابة باليد اليمنـى بالنسبة للإنسان، وما كان من هذا القبيل يدور في ذات النطاق.

(٨٥) راجع: أ.ب برونسكي، الكائن الحي والتطور البيولوجي، ص١٩٩؛ وراجع: تشارلز داروين، أصل الأنواع، ص١١٣، ترجمة: إسماعيل مظهر.

ثم أن التأثير الانتقائي هو الـذي يحقـق الانتخـاب الطبيعـي، فـالأفراد اللائقـين للبقاء طبقًا لعملية التباين هم الذين يقع فيهم انتخـاب طبيعـي وحـدهم، فمـن كـان حاملاً لصفات غير لائقة سوف يهلك، ومـن كـان حـاملاً لصـفات لائقـة يظـل محتفظًا بحقه في الحياة من حيث هو الأصلح لها وهـو البقـاء الحيـوي[٨٦]، وهـي مسألة حيوية في المقام الأول.

كم أن التأثير الانتقـائي أو الاصـطفاء النـوعي يمهـد الطريـق إلـى الانتخـاب الطبيعي حتى لو كان قد تـم قبلـه انتخـاب صـناعي، أو قـام هـو علـى فكـرة الانتخاب الصناعي، التي يتم التعامل معها بناء عليـه؛ فـلأن الانتخـاب الصـناعي هو عملية تعديل جيني يقوم بها الإنسـان مسـتخدمًا جملـة مـن الوسـائل بعضـها يتعلق بالهندسة الوراثية، وبعضها يتعلـق بالهندسـة البايوكيميائيـة، والفـرق بينـه وبين الانتخاب الطبيعي أن الأخير انتخاب الطبيعـة، أمـا سـابقة فهـو مـن عمـل الإنسان الذي أجرى تلك التحولات[٨٧].

أن التأثير الانتقائي وهو في طريقة حتـى يبلـغ الغايـة يمـر بمراحـل تـتم فيهـا الذاتية والآلية، فإذا وصل إلى مرحلـة الانتخـاب الطبيعـي فإنـه يكـون قـد بلـغ الغاية، ويتحول من مقوم اسـتعدادي إلـى مقـوم أساسـي[٨٨]. حسـبي مـن مقـوم

---

(٨٦) الدكتور/ محمود صالح السعدني، البناء الخلوي وعلاقته بالتطور، ص٤١؛ وراجع: لبرونسكي، الكائن الحي والتطور البيولوجي، ص٢١٠.

(٨٧) الدكتور/ محمد حسيني موسى الغزالي، التطور الإحيائي بين الدين والفلسفة، ص٥٨٦.

(٨٨) **المقوم الاستعدادي:** هو الذي يهيئ لوجود الشيء لا على سبيل الاستقلال، إنمـا علـى سـبيل الاجتماع والتلاقي ويتساوى مع العلة الناقصة إذا وضعت في الحسـبان كالحـال مـع الخشـب للسرير، واللحم للطعام، فليس الخشب وحده سرير، وليس اللحم وحده الطعام. وبناءً عليـه فكـل مفهم مقوم استعدادي، أما المقوم الأصلي أو الأساسي فهو الذي يُكتفي به وحده في إقامة الشـيء واستخراجه، ويساوي العلة التامة بالنسبة للبناء الفلسفي.

التأثير الانتقائي طبقًا لما يردده التطوريون وجـوده فـي الإنسـان والذريـة وتسـلله عبر رحلة الحياة الممتدة.

غير أن التأمل العلمي يجعل مقوم التأثير الانتقائي محـل مراجعـة، بحيـث يوضـع في الإطار اللائق من غيـر زيـادة عليـه أو نقصـان، ومـن المؤكـد أن تناولـه بالمناقشة سيجيء على جملة من النواحي، أبرزها:

١ــ الناحية الإحيائية:

ومعناها أن كل الكائنات الحية لها نمط إحيـائي واحـد، إنهـا مخلوقـة ذات طبـائع ثابتة طبقًا لقاعدة الحقائق ثابتة، والعلـم بهـا متحقـق خـلاف للسوفسـطائية الـذين أنكروا حقائق الأشياء، وقالوا الإنسان مقياس الحقيقة[٨٩].

ولما كانت حقائق الأشياء ثابتة من حيث الذوات، فـإن فكـرة التـأثير الانتقـائي لا تكون ذات جدوى؛ فلأن الكائن العاقـل يسـتطيع أن يغيـر فـي سـلوكياته لا فـي ذاتياته، فمن خلق بيدين لا يستطيع أن يزيدها ثالثـة أو مـا فوقهـا، مـن حيـث أن ذلك من صنع الله، ولم يتم عن طريق انتخاب طبيعي أو تأثير انتقائي.

بل إن من خلق بذراعين في ساعد لم يستطع أن يزيد فـي السـاعد الثـاني زراعًـا كما جاءنا في سالفه[٩٠]. وكذلك الحال في العينين والأذنـين والبـاقي فـي أعضـاء الجسم من الآلات، فما بال التأثير الانتقائي وقـف عـاجزًا عـن هـذه الإضـافات،

---

(٨٩) راجع: للأستاذ/ عبدالجليل محمود صالح العجمي، تأملات في كتاب الله، ص٣٣، ٣٤، مكتبة دار سعادة ١٣٠٦هـ.

(٩٠) هذا من الاحتمالات التي أوردها فقهاء الإسلام في مؤلفاتهم الفقهية، أثناء الحديث عن مواضـع الوضوء وافترضوا لو خلق لفرد يدان في ذراع واحدة فأيهما يكون محـلاً للوضـوء. راجـع: للخطيب الشربيني، الإقناع في حل ألفاظ متن أبي شجاع في فقه الشافعية، ص١٢٥، أثناء الحديث عن إمكان الوضوء وما يتعلق بها، طبعة المعاهد الأزهرية.

ومن أدرك الحكـم الإلهيـة مـن الخلـق أيقـن أنـه كلـه بفعـل بـارئ الأرض والسماوات.

كما أن هذا الجانب تبدو ملامحه فـي الأشـخاص العـاديين وغيـر العـاديين؛ لأن هذه الاعتبارات ليست جارية على نمط الفكر التطوري، وإنمـا هـي مـن سـنن الله في كونه الذي أحسن كل شيء خلقه.

أضف إلى ما سبق أن الناحية الإحيائية التي ارتـبط بهـا التـأثير الانتقـائي علـى صوره التي نبـه عليهـا، أو اعتمـدها التطوريـون بَعُـدت تمامًـا عـن طريـق الصواب؛ فالأسماك في عمليات التكاثر تضع الأنثى البويضـات، ثـم يـأتي الـذكر فينفخ عليها من رحيقه.

حينئذ يحدث نشاط خلوي فيها، ويترتب عليـه وجـود الحيـاة بـداخلها، ثـم يتمـدد أمرها فتتحول إلى كائن حي له صفات خاصة تختلف عـن الحيـوان الفقـري مـن تلك الناحية رغم اشتراكهما في هيكل عظمي يختلـف عنـد أحـدهما عـن الآخـر من الناحية التركيبية والصورية أيضًا[٩١].

وما دام الأمر قـ [illegible] من الكائنات الحيـة، أفـلا يـدل ذلـك علـى أن قصة التأثير الانتقائي تمثل ضربًا من الخيال الـذي لا يمكـن الهـرب منـه، وقـد وقع فيه أولئك الحالمون سواء قصدوه أو لا.

ويذكر علماء الأحيـاء أن هنـاك مـا يسـمى بـالتلقيح الـذاتي، ويطلقـون علـى البويضة اسم "الـ [illegible] بويضة العذراويـة، وقـد خلقهـا الله علـى تلـك الحال بحيث يتم التلقيح فيها ذاتيا دون حاجة إلى عنصر آخـر، وهـي نـادرة حتـى أنها لم تقع في الحيوان إلا مرةً واحدة، وفـي الإنسـان مـرة واحـدة، وهـو الـذي

---

(٩١) راجع: الأستـ [illegible] محمد صبحي المراكبي، التطور المنظومة الإحيائية، ص١٨١، الطبعة الأولى ١٩٧١ [illegible] الشركة.

حدث مع مريم أم عيسى عليه السلام[٩٢]، فـأين هـذا مـن التـأثير الانتقـائي كمـا يقولون.

وإذا كانت القضايا الإحيائية قد دخلت فيها الاستثناءات علـى النحـو الـذي سـلف، أفلا يدل ذلك على أن فكـرة التـأثير الانتقـائي كمقـوم مـن مقومـات الانتخـاب الطبيعي قد فشلت فشلاً ذريعًا ولم تحرز أي تقدم فـي المجـال الإحيـائي الطبيعـي كما لم تتمكن من فض مغاليق خزائن أسرار عالم الأحياء طبقًـا لمـا خلـق بـارئ الأرض والسماء.

أن المباحث الإحيائية توشك أن تصرخ بكل مـا فـي حوزتهـا معلنـة للتطـوريين وغيرهم أن الكون كله محكومٌ بقدرة إلهية، ويسير فـي منظومـة ربانيـة لا تحتـاج إلى قوانين أو قواعد احتمالية، فرب العرش جل عـلاه بـيّن أنهـا سـنن ربانيـة لا تدخل فيها الفروض الاحتمالية[٩٣].

أضف إلى ما سبق أن مقوم التأثير الانتقائي في المجـال الحيـوي يفتـرض وجـود أنواع من النزاعات، تتم بين الحي من الكائنات، بحيث تبـدأ مـن النشـوء، وتنتهـي إلى قمة التطورات والسؤال الآن هل يوجـد مـادة التـأثير الانتقـائي فـي الأفـراد أنفسهم، أم في الخلايا التي تمثلهم، أم فـي الإرادات التـي يسـتقل كـل فـرد مـن الأفراد بها عن غيره، ومن المعـروف أن البنـاء الخلـوي تحـدث التغيـرات فيـه عن طريق التطور التدريجي الذي أجرى الله سننه به[٩٤].

---

(٩٢) الدكتور/ محمد مصطفى الفولي، بعض التقدم في العلوم البيولوجية، ص١١٤، طبعـة المكتبـة العصرية.

(٩٣) راجع: لجون كيمن، الفيلسوف والعلم، ص١١٠، ترجمة: د/ أمين الشريف، المؤسسة الوطنيـة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥م.

(٩٤) الخلية الحيوية لها أربعة مراحل تمثل عمرها كله، **الأولى** مرحلة الخلق والنمو، **الثانية** مرحلـة الاستقرار والثبات، **الثالثة** مرحلة التدهور، **الرابعة** مرحلة الانحلال والانهيار،ويمكن الاسـتدلال

وبهذا ثبت أن التأثير الانتقائي الذي قال به التطوريون فـي عمليـة تفسـير الخلـق من الناحية الإحيائية لا يتفق أبدًا مع القوانين الإحيائية.

٢ــ الناحية المنطقية:

الغاية من المنطق العقلي حفظ العقل عن الخطأ في التفكيـر، حتـى قـال المناطقـة في تعريفه: أنه آله قانونية تعصم مراعاتها الذهن عـن الخطـأ فـي التفكيـر. وقـد نبه إلى ذلك الشيخ عبدالرحمن الأخضري[٩٥] في سُلمه المنورق، حيث يقول:

وبعد المنطق للجنان نسبته كالنحو للسان

فيعصم الأفكار عن غي الخطا وعن دقيق الفهم يكشف الغِطا

وبإنزال تلك القواعد المنطقية على مقـوم التـأثير الانتقـائي، والانتخـاب الطبيعـي طبقًا للأفكار التطوريـة أجـد إمكانيـة التعـرض لهـا ومناقشـتها مـن الجوانـب المتعددة، من أبرزها:

١ــأنها تخالف المنطق العقلي، فالقاعدة القائلة بأن الحكـم علـى الشـيء يجـب أن يسبق تصوره بوجه من الوجوه من حيـث أن التصـور إدراك المفـرد مـن غيـر حكم عليه بنفي أو إثبات، فما بال التطوريين قد سـموه التـأثير الانتقـالي ووصـفوه به فجمعوا بين التسمية بالتأثير والوصف بالانتقائي، فانتقـل مـن التصـور المجـرد إلى التصديق الإيجابي، من غير أن تكون هناك مرحلـة تمهيـد أو توضـيح لـذلك الانتقال، فبان وقوعهم في مخالفة لأحكام المنطق من الناحية الصورية[٩٦].

على هذه المراحل بقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾، "الروم: الآية (٥٤)".

(٩٥) العلامة الشيخ/ عبدالرحمن الأخضري، السلم المنورق، ص٤، طبعة الحلبي ١٩٣٨م.

(٩٦) المراد بالناحية الصورية هنا تكامل المعنى الانتقالي المتردد بين الموضوع والمحمول، بجانب أن التأثير الانتقائي ليس له وجود واقعي وما هي في هذا المجال إلا من مطروحات الخيال.

٢ــ أن التأثير الانتقائي لدى القـائلين بـه قـد منحـوه القـدرة والإرادة والعلـم حتى يقوم هو بتلك العمليات التي نيطت به، مع أنه اسـم معنـى والمعـاني لا تقـوم بذاتها وإنما يقوم بها غيرها[٩٧]. فإذا قال التطوريـون بالانتقـاء التـأثيري، والتـأثير الانتقائي، فقد خالفوا القواعد المنطقية، فحولوا المسـند إليـه إلـى مسـند والمفعـول إلى فاعل، وهذا ما يبين فساد شبهتهم ويمحوها من الوجود.

٣ــ كما أن قوانين الفكر ثلاثة: الذاتية، والغيريـة، والثالـث المرفـوع، وأحكـام العقل ثلاثة، هي: الواجب والممكن والمسـتحيل، والتـأثير الانتقـائي لـيس واجبًـا، ومن ثم فهو يدور بين الممكن والمستحيل، فإذا نظرنـا إليـه مـن ناحيـة الصـناعة اللغوية والتركيب التوصـيفي أمكـن القـول بأنـه ممكـن، وجميـع الممكنـات إذا وردت على ناحية اللغة فإنه يتم التعامـل بهـا مـن خلالهـا[٩٨]. وتحويـل الممكـن إلى فاعل بالإرادة قلب للحقائق وخروج على صحيح القواعد.

---

(٩٧) المعنى هو العلاقة القائمة بين اللفظ والدال عليه، أو الدال والمدلول، فمثلاً لفظ محمد علمٌ علـى شخص، فالشخص بناءٌ متكامل، واللفظ هو محمد بناء كَلِمٌ متكامل بدليل أنه يستعمل علـمٌ علـى شخص لكن العلاقة بين جسم الشخص، وجسم اللفظ هو المعنى، فهل يعقل أن يقوم المعنى بالتأثير الانتقائي وهو بذاته من ينقله من التصورات إلى التصديقات.

(٩٨) هذا الجانب مهمّ عند التناول الدراسي باعتبار أن اللغة هي حقيقة الألفاظ، ونحـن نقـول علـى الحقيقة كذا فإنما يراد به الجانب اللغوي لا محالة، وهو ممكن من ناحية البناء اللغوي على الصفة التي وردت.

لمزيد من التفاصيل راجع: جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وآدابها، ج١، ص١١٦، طبعة الحلبي، وراجـع: للشيخ/ محمد بن علي بن سعيد المنيلاوي، نظريـة المعنـى والمبنـى: دراسـة بلاغية، ص١٩، ٢٠، طبعة الشباب ١٩١٦م.

أما إذا حسبنا التأثير الانتقائي بأنه واجـبٌ، فقـد خالفنـا القواعـد المعرفيـة كلهـا؛ لأن الواجب هو الثابت الوجـود الـذي لا يقبـل العـدم أبـدًا، وهـو الله سـبحانه وتعالى، ولا يعقل أن يكون التأثير الانتقائي، واجبًا مهما قال الآخرون[٩٩].

أضف إلى ما سبق أن الوصـف الأنسـب للتـأثير الانتقـائي هـو المسـتحيل، وإلا كان قلبًا للحقائق إذ المستحيل هـو المعـدوم الـذي لا يقبـل الوجـود أبـدًا نظـرًا لاستقراره في العدم، والتأثير الانتقائي لا يكون فاعلاً بالإرادة أبدًا.

٣ــ الناحية النقلية:

دلت الآيات القرآنية على أن التباينات التـي تظهـر فـي المخلوقـات راجعـة إلـى الصنعة الإلهية، وهو سبحانه وتعالى الذي خلق فسوى، وقـدر فهـدى، وفـي نفـس الوقت لا يوجد خلق كخلقه، ولا فعل كفعله، فإسـناد التـأثير فـي المخلوقـات مـن جهة غير جهة الله إنما يعبر عن ضلال أصـحابه وخـروج عـن مقتضـى الخلـق الإلهي.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْـرِ شَـيْءٍ أَمْ هُـمُ الْخَـالِقُونَ * أَمْ خَلَقُـوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَـزَائِنُ رَبِّـكَ أَمْ هُـمُ الْمُصَـيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾[١٠٠].

---

(٩٩) التحول من الممكن إلى الواجب لا يقول به عاقل نظرًا لمخالفته البديهيات العقلية، ومن جادل في ذلك خالف القواعد المعرفية.

(١٠٠) سورة الطور: الآيات (٣٥ــ٣٨).

يقول الطاهر بن عاشور: (أن في هذه الآيات أدله على أن ما خلقه الله من بدء الخلق أعظم مـن إعادة خلق الإنسان ... أنهم خلقوا بعد أن كانوا عدمًا فكلما خلقوا من عدم في نشـأتهم الأولـى ينشأون من عدم في النشأة الآخرة فالذي خلق السموات والأرض لا يعجزه إعادة الأجسـاد بعـد الموت والفناء ... وفي هذه الآيات إبطال أن يكون لهم تصرف في شـئون الربوبيـة فيجعلـوا الأمور على مشيئتهم كالملك في ملكه والمدبر فيما وُكل عليه).

فدل الأمر على أن الخالق لكل واحد والجميع هو الله، وأن مـا سـواه مخلـوق لـه جل علاه، وأن من ينسب الخلق لغير الله يقع في معصيته جـل شـأنه ويـرد عليـه أمره؛ لأنه من البغاة الذين يقفزون على شرع الله، وفـي الحـديث الشـريف ثلاثـة ترتد علـى أصـحابها النكـث لقولـه تعـالى: ﴿**فَمَـن نَّكَـثَ فَإِنَّمَـا يَنكُـثُ عَلَـى نَفْسِهِ**﴾(١٠١)، والبغي لقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُـمْ يَبْغُـونَ فِـي الأَرْضِ بِغَيْـرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا ثُـمَّ إِلَينَـا مَـرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(١٠٢).

قال ابن عاشور: (البغي: الاعتداء وسمي الشـرك بغيًـا لأنـه اعتـداء علـى حـق الخالق وهو أعظم اعتداء كما يسـمى ظلمًـا فـي آيـات كثيـرة، وقولـه: ﴿**بِغَيْـرِ الْحَقِّ**﴾ هو قيد كاشف لمعنى البغي، إذ البغي لا يكون بحق)(١٠٣).

والبخل لقوله تعالى: ﴿**هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُـوا فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ فَمِـنكُم مَّـن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّـهُ الْغَنِـيُّ وَأَنـتُمُ الْفُقَـرَاء وَإِن تَتَوَلَّـوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾(١٠٤).

---

(١٠١) سورة الفتح: من الآية (١٠).

يوضح الفخر الرازي النكث فقال: "من نكث فوت على نفسه الإحسان الجزيل في مقابلة العمل القليل فقد خسر ونكثه على نفسه".

الفخر الرازي ــ مفاتيح الغيب ــ المجلد ١٤ ــ ج٢٨ ص٨٨.

فالناكث الذي ينقض عهده مع الله فيكون خاسر ويتعرض لغضب الله وعقابه على النكث الذي يمقتـه الله وذلك لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾، [سورة الفتح: الآيـة (١٠)].

(١٠٢) سورة يونس: الآية (٢٣).

الطاهر بن عاشور ــ التحرير والتنوير ــ ج٢٧ ص٦٧ وما بعدها (بتصرف).

(١٠٣) الطاهر بن عاشور ــ التحرير والتنوير ــ ج١١ ص١٣٨.

(١٠٤) سورة محمد: الآية (٣٨).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّـهُ قُـلْ أَفَاتَّخَـذْتُم مِّـن دُونِـهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُـلْ هَـلْ يَسْـتَوِي الأَعْمَـى وَالْبَصِـيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُـرَكَاء خَلَقُـواْ كَخَلْقِـهِ فَتَشَـابَهَ الْخَلْـقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(١٠٥).

ومحل الشاهد أن الخالق واحد هو الله رب العالمين، ومـا عـداه فـلا ينسـب إليـه شيءٌ أبدًا من خلـقٍ أو غيـره، وكثيـرًا مـا صـنع الصـانعون وردًا ولكـن وردة الروض لا تضارع شكلاً، فهـؤلاء الشـركاء خلقـوا مخلوقـات كـالتي خلقهـا الله تعالى، فهم لا يخلقون شيئًا، ولا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَـبَتْ وَجَعَلُـواْ لِلّـهِ شُـرَكَاء قُـلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّـنَ الْقَـوْلِ بَـلْ زُيِّـنَ لِلَّـذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(١٠٦).

ومحل الشاهد أن الله تعالى يتحدى جميع الخلائق إن كـانوا جـادين فليـأتوا بشـيءُ مما خلق الله على أي نحوٍ كان، ومن المؤكـد أن كـل تصـرفاتهم سـترتد علـيهم، ولن ينجو من حكم الله فيهم مكذب بآياته أو جاحد لآلائه.

٤ــ الناحية العقلية:

العقل حجةُ الله على عباده بدليل أنه رفع التكليف عـن غيـر العقـلاء، فـإذا تقـرر أن التأثير الانتقائي يقوم بعمليات داخـل الانتخـاب الطبيعـي، وهـو غيـر عاقـل،

بيّن الفخر الرازي ذلك البخل ضرر عائد إليه فلا تظنوا أنهم لا ينفقونه على غيرهم بل لا ينفقونه على أنفسهم فإن من يبخل بأجرة الطبيب وثمن الدواء وهو مريض فلا يبخل إلا على نفسه.
الفخر الرازي ــ مفاتيح الغيب ــ ج٢٨ ص٧٦.
أي أن الإنسان الذي يبذل المال والجهد إنما هو رصيد له يدخره الله له إلى رصيده يحتاج إليـه يوم يحشر إلى الله مجرد من كل شيء فلا يجد إلا ذلك الرصيد المدخر عند الله.

(١٠٥) سورة الرعد: الآية (١٦).

(١٠٦) سورة الرعد: الآية (٣٣).

فدل الأمر على أن القول به يخـالف أحكـام العقـل والواقـع؛ لأن فاقـد الشـيء لا يعطيه.

يقول الدكتور صبري رزق: "إن الله تعالى خلق الكائنات على مـا هـي عليـه مـن أصل الخلق، وهو وحده الذي جعل هذا مختلفًا عن ذاك لحكمـة يعلمهـا، فـإذا قـال التطوريون بأن التأثير الانتقائي ــ وما هو إلا جملة إنشـائية ــ قـد أحـدث أنواعًـا عديدة من التطورات الأنوية الخلوية فإنما يكون ما صدر عـنهم بعيـدًا كـل البعـد عن الواقع والحقائق الأساسية، بل يخالف العقل السليم وأحكامه المعرفية"(١٠٧).

ثم أن التأثير الانتقائي المفروض أنـه يمهـد للانتخـاب الطبيعـي، وعنـد اختيـاره للأبقى والأقوى فيجب أن يبقى ولا يحدث له تدهورٌ أو انهيـار، فمـا بـال المـوت قد حصد، ويحصـد العديـد مـن رؤوس الصـغار، ورؤوس الكبـار، ألـم يحسـم التأثير الانتقائي القضية ويطارد المـوت، أم أنـه عجـز عـن هـذا وذاك فاسـتحق الموت قبل أن تموت كل الكائنات(١٠٨).

أضف إلى ما سبق أن عمليات الانتخـاب الصـناعي والتـدخلات التـي يقـوم بهـا الإنسان داخل عالم النبات والحيوان عن طريـق التهجـين والاستنسـاخ إنمـا تـتم من خلال فاعل هو الإنسان العاقل، ومعه وسـائل عديـدة، ويقـوم هـو بمـا يقـوم دون احتياج إلى الطبيعة، إنما عونه وسنده هـو القـدرات العقليـة التـي خلقـه الله تعالى مزودًا بها، ثم أن الوسائل أو المواد الخام التي خلقهـا الله لـه وعلمـه كيفيـة

---

(١٠٧) الدكتور/ صبري محمد رزق، علم السلالات البشرية، ص١٤٧، طبعة ثانيـة، مكتبـة الهـدى ١٩٨٧م، الدكتور/ محمود صالح السعدني، البناء الخلوي وعلاقته بالتطور، ص٥٨.

(١٠٨) الدكتور/ حسن سالم الطويل، ملاحظات على التطور الدرويني، ص٣٩، ٤٠، مكتبـة رمـزي ١٩٩٧م.

التعامل معها والاستفادة بها[١٠٩]. ومن ثم فالعقل السـليم يقـرر أن كافـة العمليـات التي قام بها العقل البشري لابد من إحالتها إلى خالقها وهو الله رب العالمين.
ومن البين أن الله تعالى خلق مجموعة من الوسـائل تحقـق الغايـات الكثيـرة منهـا وسائل بيئية طبيعية، ومنها وسائل بيئية إحيائيـة، وجميـع عناصـر الكـون قائمـة في الحكمة الإلهية.
يمكن القول بأن ما ذهب إليه التطوريون مـن القـول بالانتخـاب الطبيعـي وغيـره يمثل الترف العقلي والانفلات الأخلاقي، وهـو الـذي أقـر بـه الكثيـرون فيقـول إريختون: "أن نزعات العلم الحديث قد رفعتنـا ـ علـى مـا أعتقـد ـ إلـى ذروة نشرف منها على ذلك اللجج الواسع، لجج الفلسـفة، أمـا إذا جازفـت بـأن أنغمـر فيه، فليس معنى ذلك عن إيمان بقدرتي علـى السـباحة، بـل ابتغـاء أن أظهـركم هو عميق ذلك الماء"[١١٠].
بقيت مسألة يجب التنويه إليها، وهـي أن كـل مـا فـي الكـون مـن صـنع الله، والأفكار التي تزاحمت في عقول هؤلاء إنمـا هـي بالنسـبة للمجـال العقـدي مـن نزع الشيطان والتأثر بالأفكار الفلسفية الماديـة وقـد أضـرت بمعتقـداتهم الدينيـة، والمؤسف له أن كل الذي انطلقوا منه كانت بداياته قائمـة علـى مشـكلات معرفيـة لا قواعد علمية أساسية. وفوق ذلك فـإن عقيـدتنا الدينيـة قـد حسـمت القضـية،

---

(١٠٩) الأستاذ/ محمود السيد حسن، والأستاذ/ خالد عبدالعظيم صـابر، ملاحظـات إحيائيـة علـى المشكلات التطورية، ص٣٥، ٣٦، طبعة مركز المختار النموذجي، طبعة أولى ١٩٩٧م، وراجع: للدكتور/ سيد أحمد رمضان المسير، إلزام القرآن للماديين والملليين، ص١٥، ١٦، دار الطباعـة المحمدية بالقاهرة.

(١١٠) دكتور/ عبدالمعطي بيومي، والدكتور/ أحمد الشاعر، الإسلام والتيارات المعاصـرة، ص١١٨، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

فليس هناك خالق سوى الله، وليس لنا معبود ســواه جــل عــلاه نحــن نــؤمن بــه ونعتمد عليه ولا يسعنا إلا الالتزام بما جاء من الملك العلام[١١١].

ثم أن الإلزام يرد من سلطةٍ عليا لا سلطة فوقهــا، وهــذه الســلطة نحــن المســلمين مصدر الإلزام هو الله رب العالمين، جــاءت النصــوص مــن عنــده فــي الكتــاب الكريم وسنه النبي الأمين المدلول عليهما قوله تعالى: ﴿**قَدْ جَـاءكُم مِّـنَ اللّـهِ نُـورٌ وكِتَابٌ مُّبِينٌ**﴾[١١٢].

أما الالتزام فهو شعور الفرد الواعي بأنه مخاطــب بالتكــاليف الاعتقاديــة والعمليــة والأخلاقية من جانب سلطة الإلزام، وبناءً عليه فهو يطبق مــا جــاء مــن عنــد الله لا يبتغي وجهًا سواه، وبدا يتحقق الخير الذي يتمناه، وجاءه فيه وعدٌ من الله.

الله أسأل السلامة في الدنيا والنجاة في الآخرة، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(١١١) هناك علاقة بين الإلزام والالتزام في شريعة الإسلام متى عرفت طرفاها أمكن فهــم الحقيقــة الأساسية، وهي الاعتقاد الجازم التوكل الحاسم على الله الملك العلام.

(١١٢) المائدة: من الآية (١٥).

الخاتمـــــــــــــــــة

تعتبر الخاتمة بمثابـــة العمـــل النهـــائي للبحـــث الـــذي اســـتوفى جوانبـــه المتعلقـــة بالمقدمة والموضوع، بجانب المسائل التي دارت بـــين حنايـــاه، ومـــن ثـــم قـــالوا أن الخاتمة من الناحية المنهجية ما هي إلا رصـــدٌ لأهـــم النتـــائج، وأبـــرز التوصـــيات، ويمكن أن يختمه الباحث بجملة مـــن مقترحـــات تمثـــل رؤوس موضـــوعات يمكـــن الاستفادة بها في العديد من الدراسات، وتطبيقًا لهـــذه المفـــاهيم فـــإني ســـأتناول مـــا يلي:

أولاً ـــ أهم النتائـــــــــــج:

١ـــ أن كافة الموجـــودات مخلوقـــة لله تعـــالى ابتـــداء، فهـــو الفـــاطر لهـــا، وهـــو المبدع، والمخرج لها جميعًا من دائرة العدم إلـــى الوجـــود، وقـــد جـــاءت ظـــواهر الآيات القرآنية تبين هذا المعنى وتبرز جوانبه، وتحيـــل الخلـــق إلـــى الخـــالق، قـــال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾**(١١٣).

٢ـــ أن سنن الله تعالى في الكون الذي نعيشه تمضـــي لغايـــات مجـــددة طبقًـــا لمـــا جرى في حكمته وشمله علمه جل شأنه فـــلا يغـــرب عـــن علمـــه مثقـــال ذره فـــي الأرض ولا في السماء،وكل شيء قائم في علمـــه مخصـــص بإرادتـــه نافـــذٌ علـــى مجرى قدرته منذ خلق الله الكـــون إلـــى أن يـــرث الأرض ومـــن عليهـــا، ســـنه الله ولن تجد لسنه الله تبديلاً ولن تجد لسنه الله تحويلا.

---

(١١٣) سورة الأنعام: الآية (٩٥).

٣ــ أن جميع الأنبياء وكل المرسلين منـذ آدم عليـه السـلام إلـى سـيدنا محمـد خاتم الأنبياء والمرسلين قرروا الحقائق الأساسية، ومنهـا أن كـل مـا يجـري فـي الكون إنما هو صنعه إلهيه

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّـهِ الَّـذِي أَتْقَـنَ كُـلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[١١٤]، وبناءً عليه فلا يوجـد تـدخل لأحـدٍ فيمـا خلـق الله، ولا يستطيع عاقل الزعم بشيءٍ آخر سـواه، ومـن ادعـى غيـر ذلـك ضـل أمره وخاب مسعاه.

٤ــ أن فكرة الانتخاب الطبيعي والاصطفاء النـوعي وغيرهمـا ممـا جـرت بـه أقلام البعض لو بعُد عن العقيدة الدينية لقلنا أنه يدور فـي جوانـب معرفيـة، غيـر أنه لما أدخل في العقيدة الدينية فقد بات من الضـروري بيـان أنهـا مجـرد أفكـارٌ إنسانية لم تقم على أصول حقيقية، الخيال فيها يجـري ولا تدعمـه حقيقـة علميـة؛ لأن كل ما جرى في شأنه لـم يـتم التجريـب عليـه داخـل معامـل تجريبيـة، أو مراكز بحثية، وإنما هو خيالاتٌ نمت في عقول أصحابها تفتقد الواقعية.

٥ــ أن أصحاب الانتخاب الطبيعي تنـازلوا عـن البـدهيات المعرفيـة، وأنكـروا المبادئ العلمية إذ كيف تتحـول الطبيعـة الجاهلـة الصـماء العميـاء إلـى عالمـه قادرة مدركة حتى توقع الانتخاب بذاتها في أصنافها وأنواعها.

ألا يدل ذلك على أن أصـحابها تنـازلوا عـن المبـادئ الأوليـة إذ كيـف تكـون الطبيعة خالقًا وهـي مخلـوق، وكيـف تصـطفى أو تختـار وهـي أبعـد منهمـا مساحات تجاوزية.

٦ــ أن الانتخاب فكرة لم يحدث توافق بين أجزائها مـن الناحيـة العمليـة، وقصـة الحياة شاهدة بأن النباتات لم تتحول إلى كائنـات حيوانيـة تبـدو لهـا رؤوس فيهـا

---

(١١٤) سورة النمل: الآية (٨٨).

قرونٌ وملامحها تعبر عن تطـورات نوعيـة، فثبـت أن الانتخـاب الطبيعـي ومـا يجري معه إنما هي أقوالٌ بعيدة عن إدراك الحكمة الإلهية.

٧ــ أن كافة المبادئ الإحيائية بما فيها الاصـطفاء النـوعي، والانتخـاب الطبيعـي تشترط أن يتم التطبيق على جوانبها عدة مرات بحيث تكـون النتيجـة الأولـى هـي الباقية، وذلك لم يتحقق شيء منها.

٨ــ أن المقومات التي قال بهـا أصـحابها إنمـا هـي مقومـات صـناعية تمـت صياغتها بعيدًا عـن توجهـات القـدرة الإلهيـة، ولا يسـمع لصـاحبها قـول؛ لأن قضاياها جميعها شكلية.

٩ــ المقومات التي انتصب فيها قـانون إحيـائي لـيس معنـاه اختصاصـها بـه، وإنما معناه أن دراسته فيها ما فيهـا ويقضـي الله تعـالى بحكمتـه العليـة، ومـن خالف في شيء من ذلك خانة التوفيق الإلهي وبرزت أحكامه في صور غيبية.

١٠ــ أن مقومات الانتخاب الطبيعي لـم تخـرج عـن كونهـا فروضًـا احتماليـة، جئ بها لوضع تصورٍ ما لجانب من جوانب العقيـدة الإلهيـة، ولا يمكـن أن تكـون تلك المقومات البشرية هي المدلول عليها في الشريعة الإلهية.

ثانيًا ـــ أهم التوصيـــــــات:

١ــ ضرورة التعامل مع القضايا التطوريـة علـى أنهـا معـارف إنسـانية، تقبـل الزيادة عليها والنقص منها، ولا تعتبر أبدًا داخلـه فـي نطـاق المعتقـدات العلميـة؛ لأن المعتقد العلمي هو الـذي يـتم التطبيـق عليـه فـي كـل مـرة مـن خـلال المجموعات العلمية، ويؤدي إلى ذات النتيجة التـي دخلـت المرحلـة الاسـتهدافية، فالعلوم بغاياتها، والغايات مرتبطة بالنتائج، ولا يمكن أن تغفـل النتيجـة مـا دامـت أمورها طبيعية.

٢ــ التركيز على تناول القضايا الكلاميـة، وإنشـاء علـم كـلام إسـلامي جديـد يمكن أن توظف لصالحه أفكار صحيحة تخدم قضايانا الدينيـة، بـدل الانخـراط فـي

جدل لا يستقيم مع العقلية الإسلامية، فذلك أجدى للبحـث العلمـي وأوفـر لنـا مـن الناحية المعرفية.

٣ــ الاهتمام ببحث القضـايا العلميـة والاسـتهداء بهـا فـي التعريـف بالعقيـدة الإسلامية حتى نقيم علم كلام جديد فـي مقدماتـه يسـتوعب المسـتجدات العلميـة، ويقدم العديد من الخدمات المعرفية بحيث يهتدي بها فـي التعـرف علـى الإلهيـات والنبوات والسمعيات بما هو قائم في المنـاهج المعاصـرة حتـى تضـيف رصـيدًا جديدًا إلى الأخرى القائمة من باب تضافر الأدلة.

٤ــ ضرورة الاهتمام بالكتب العلمية وبخاصة التـي تتنـاول الجوانـب الإحيائيـة وممارسة أنواع من التعديل في مقدماتها ونتائجهـا حتـى لا يظـن ظـان إمكانيـة تساويها بالكتب الإلهية، فالإلحاد العلمـي يطـل برأسـه بـين عشـية أو ضـحاها، ويسعى ليكون بديلاً عن الدين الإلهي، نصوصه الدينيـة وقضـاياه الأساسـية، ولـو صح هذا لتخلى عن الدين الإلهي أفراد البشرية.

٥ــ ضرورة صياغة المبادئ والقواعد الإحيائيـة صـياغة جديـدة بحيـث يوضـع في صدرها إشارة بأنها محاولات إنسـانية كـل مـا فيهـا لا يـدخل فـي نطـاق الحقائق الإلهية حينئذ تنزع عنها القداسة المذعومه ويتم التعامـل بهـا كفاحًـا فتبـدو مشكلاتها الخفية وأوجه القصور من الناحية المعرفية.

٦ــ تنمية الوازع الـديني فـي نفـوس الـنشء والتأكيـد علـى أركـان العقيـدة الإسلامية حتى إذا نازلها باحثٌ معرفي كان مهيئًـا للتعامـل معهـا مـن غيـر أن تحدث له نكسات إنسانية تؤدي بـه إلـى الاضـطراب السـلوكي، أو تبعـده عـن العقيدة الإسلامية.

ثالثًا ــ المقترحـــــــات:

١ــ تحديد المصطلح في الدراسات الإحيائية على الناحية المنهجية.

٢ــ موقف الكنيسة من ظهور الفكر التطوري الإحيائي.

٣ــ دور الكنيسة في التطور الإحيائي.
٤ــ الانتخاب الطبيعي وأزلية المادة وجهًا لوجه.
٥ــ ظاهرة التطور الإنمائي وأثرها على الجانب الإحيائي.
٦ــ خطر الأفكار التطورية على العقيدة الإسلامية.
٧ــ ظاهرة التنبؤ وأثرها في بناء التطور الإحيائي.
٨ــ أثر النهضة الإسلامية في القوانين التطورية.

المصادر والمراجـــــــــــع

ــ القرآن الكريم .. جل من أنزله.

١ــ أ.ب. برونسكي ــ الكـــائن الحـــي والتطـــور البيولـــوجي ــ ترجمـــة: صـــالح منتصر ــ الطبعة الثانية ــ مكتبة فوزي ١٩٩٨م.

٢ــ إفلين أشتون وجنزجاري وأولســـن ــ النـــوع الـــذكر والأنثـــى بـــين التمييـــز والاختلاف ــ ترجمة: محمد قـــدري عمـــارة ــ مكتبـــة الأســـرة، سلســـلة العلـــوم الاجتماعية ٢٠٠٦م.

٣ــ الخطيب الشربيني ــ الإقناع في حل ألفاظ مـــتن الشـــجاع فـــي فقـــه الشـــافعية ــ طبعة المعاهد الأزهرية.

٤ــ أنتوني توماس ــ التطور الحيـــوي ــ ترجمـــة: هنـــاء خضـــر ــ طبعـــة دار القلم ١٩٨٧م.

٥ــ أندريه توما هوك ــ نظرية التطور فـــي الكائنـــات الحيـــة ــ ترجمـــة: نصـــر الدين فواز ــ طبعة بغداد ١٩٨٣م.

٦ــ أندريـــه جيـــنس ــ التطـــور الخـــلاق ــ ترجمـــة: حســـن مـــراد ــ الطبعـــة الأولى.

٧ــ ب.هـ. جوهار ــ الطريق إلى العلـــم ــ ترجمـــة: خالـــد عبدالبـــديع ــ طبعـــة بيروت ١٩٨٢م.

٨ــ تشارلز داروين ــ أصل الأنواع ــ ترجمة: إسماعيل مظهر.

٩ــ توماس أندريه مـــالتوس ــ التطـــور الأحيـــائي وحركـــة الحيـــاة ــ ترجمـــة: عادل فوزي ــ طبعة دار الكرنك ١٩٩٨م.

١٠ــ توماس زيد ــ عصور ما قبل التـــاريخ ــ ترجمـــة: الأســـتاذ/ نـــور الـــدين فضل ــ طبعة دار الفكر ١٩٨٧م.

١١ــ جلال الدين الســـيوطي ــ المزهـــر فـــي علـــوم اللغـــة وآدابهـــا ــ طبعـــة الحلبي.

١٢ــ جورج أ. بنسبون ــ التطور الأحيـــائي مـــن منظـــور حيـــوي ــ ترجمـــة: عادل فوزي ــ مكتبة الكرنك ١٩٩٧م.

١٣ــ جورج بيتر ــ التطور في الكائنات ودور الطبيعة الخلاق ــ ترجمة: الأستاذ/ فوزي صبري ــ طبعة المقطم ١٩٩٢م.

١٤ــ جون كيمن ــ الفيلسوف والعلم ــ ترجمة: د/ أمين الشريف، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥م.

١٥ــ د/ حسن السيد حسن ــ التطوريون واتجاهاتهم الفكرية ــ مكتبة الجيل ١٩٨٧م.

١٦ــ د/ حسن سالم الطويل ــ ملاحظات على التطور الدروينى ــ مكتبة رمزي ١٩٩٧م.

١٧ــ خالد فوزي حسن ــ التطور الأحيائي ــ بحث في الكائنات الحية ــ طبعة شلبي ١٩٨٥م.

١٨ــ د/ خيري الدكر ــ المجتمع وعوامل تطوره ــ طبعة سعيد رأفت ١٩٨٣م.

١٩ــ د/ رزق عبدالعاطي صبري ــ الفلسفة الحديثة ومشكلات أعلامها ــ مكتبة الشباب ١٩٤٨م.

٢٠ــ رمسيس عوض ــ محاكم التفتيش ــ طبعة دار الهلال ٢٠٠١م.

٢١ــ د/ سعيد عبدالفتاح عاشور ــ أوروبا والعصور الوسطى ــ مطبعة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٦م.
٢٢ــ د/ سعيد مروان ــ محاكم التفتيش وعلاقتها بالتطور الأحيائي: دراسة مقارنة ــ طبعة مكتبة الكرنك ١٩٩١م.
٢٣ــ سلامة موسى ــ نظرية التطور وأصل الأنواع ــ المكتبة العصرية ١٩٩٣م.
٢٤ــ د/ سيد أحمد رمضان المسير ــ إلزام القرآن للماديين والمليين ــ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.
٢٥ــ د/ صبري محمد رزق ــ علم السلالات البشرية ــ طبعة ثانية ــ مكتبة الهدى ١٩١٧م.
٢٦ــ د/ عبدالجليل محمود صالح العجمي ــ تأملات في كتاب الله ــ مكتبة دار سعادة ١٣٠٩هـ.
٢٧ــ الشيخ/ عبدالرحمن الأخضري ــ السلم المنورق ــ طبعة الحلبي ١٩٣٨م.
٢٨ــ د/ عبدالعزيز محم صالح ــ أوروبا والعصور الوسطى ــ طبعة أولى ١٩٧٥م.
٢٩ــ د/ عبدالعظيم محمد البداري ــ الطواغيت (الأله البشرية) ــ مطبعة الفجر دمشق ١٩٨٧م.
٣٠ــ عبدالعظيم محمد زهران ــ أعلام الفلسفة الحديثة ــ طبعة دار عبدالرشيد ــ دمشق ١٩٨١م.
٣١ــ عبدالله خيري ــ الفلسفة الحديثة والمعاصرة ــ الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
٣٢ــ د/ عبدالمعطي بيومي، د/ أحمد الشاعر ــ الإسلام والتيارات المعاصرة ــ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ــ١٩٨٠م.
٣٣ــ عبدالمنعم الحفني ــ المعجم الفلسفي ــ دار الشرقين ــ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ــ١٩٩٠م.

٣٤ــ د/ علي صالح العفيفـي ــ الفلسـفة اليونانيـة تـاريخ ومفكـرين ــ طبعـة دار النهر ١٩٨٣م.

٣٥ــ عمانويل كانت ــ مقدمة لكـل ميتافيزقبـا نقديـة مقبلـة يمكـن أن تصـير علمًـا ــ ترجمـة: نـازلي إسـماعيل ــ الناشـر: دار الكتـاب العربـي بالقـاهرة ١٩٦٨م.

٣٦ــ د/ فوزي محمد يسري ــ زعماء التطوريـة بـين الحقيقـة والخيـال ــ دار الجيل بيروت ١٩٦٧م.

٣٧ــ د/ فوزي محمود عبدالعظيم ــ محـاكم التفتـيش وأخطارهـا علـى العقليـة الأوروبية ــ مكتبة الشباب ١٩٨٣م.

٣٨ــ الأستاذ/ محمد أحمـد باشـميل ــ الإسـلام ونظريـة داروين ــ الطبعـة الثالثة ــ دار الفتح للطباعة والنشر ــ بيروت ١٣٠٤هـ ــ١٩٨٤م.

٣٩ــ الشيخ محمد بن عبدالله بن عليان ــ الجن في حيوانـات الجنـة ـــ طبعـة دار السعادة ١٣٠٦هـ.

٤٠ــ الشيخ محمد بن علي بن سعيد المنـيلاوي ـــ نظريـة المعنـى والمبنـى: دراسة بلاغية ــ طبعة الشباب ١٩١٦م.

٤١ــ د/ محمـد حسـيني موسـى الغزالـي ــ التطـور الأحيـائي بـين الـدين والفلسفة ــ الطبعة الرابعة ــ مطبعة الصواف بالزقازيق ١٤٢٥هـ ــ٢٠٠٤م.

٤٢ــ محمد صالح النمر ــ التطـور الأحيـائي وموقفنـا منـه ــ طبعـة مكتبـة فؤاد، ١٩٦٣.

٤٣ــ د/ محمد صبري بـدوي ــ أثـر محـاكم التفتـيش فـي ظهـور التيـارات المناهضة للدين ــ طبعة دار المقطم ١٩٩١م.

٤٤ــ د/ محمد عادل فوزي ــ زعمـاء التطـور الأحيـائي ـــ الطبعـة الأولـى ــ مكتبة شعبان ١٩٧٨م.

٤٥ــ محمـد مرسـي حسـن ــ الاتجاهـات الفلسـفية المعاصرةـــ طبعـة دار النهرــ الطبعة الأولى ١٩٨١م.
٤٦ــ د/ محمد مصطفى الفولي ــ بعض التقدم فـي العلـوم البيولوجيةـــ طبعـة المكتبة العصرية.
٤٧ــ محمد منير الضبع ــ علم التشريح المقارن ــ طبعة أولى ١٩٨٧م.
٤٨ــ الأستاذ/ محمـود السـيد حسـن، والأسـتاذ/ خالـد عبـدالعظيم صابرـــ ملاحظات إحيائية على المشكلات التطوريـة ــ طبعـة مركـز مختـار النمـوذجي ــ طبعة أولى ١٩٩٧م.
٤٩ــ د/ محمود صالح السعدني ــ البنـاء الخلـوي وعلاقتـه بالتطورـــ طبعـة أولى ــ مكتبة المنشية ١٩٩٥م.
٥٠ــ د/ مصطفى محمد صبحي المراكبـي ــ التطـور والمنظومـة الأحيائيـة ــ الطبعة الأولى، مكتبة الشروق ١٩٧١.
٥١ــ نورمان لوكهايـد ــ الثـورة الفكريـة فـي عصـر النهضـة فـي تـاريخ ومشكلات ــ ترجمة: هناء الطويل ــ مطبعة بو عزيز مراكش ١٩٨١م.
٥٢ــ الأستاذ/ وحيد الدين خان ــ الـدين فـي مواجهـة العلـم ــ دار الاعتصـام بالقاهرة ١٩٧٣م.